

واقع المرأة العراقية في زمن ديمقراطية الاحتلال الأمريكي

سكيّنة عبد المالك الصميدعي^(١)

تمهيد

نحمد الله تعالى ونشكره على كل أحوالنا ونصلي ونسلم على المبعوث
رحمة لنا ولكل العالمين، وبعد...
فلاشك إن المرأة تشكل نصف المجتمع -إذا صلّحت- وعلى النصف
الآخر يرتكز بناء الرجل، وهذه البديهية لا يختلف عليها اثنان في المجتمع
المسلم؛ ذلك أن المرأة الصالحة تتولى تربية النشء على منهج الله القويم في
كل مراحل الحياة، فهي المرجع والحضن الدافئ للأبناء حتى لو بلغوا شأواً
من أي منزلة في مراحل حياتهم المختلفة حيث نجد بصماتها الخيرة في القيم
التي يحملونها وينثرون عبيرها في كل زوايا المجتمع، ولنا في تاريخنا المجيد
البعيد منه والقريب شواهد لا تحصى هي أمثلة حية بمثابة زاد ورواء يتزوّدن

^(١) رئيسة رابطة الأم العراقية.

به رائدات هذه الأمة في عصرنا الذي نعيشه في زمن الديمقراطية التي تتزلف بالتحريير والانعتاق من كل فضيلة، وتدعو إلى التحلل والانسلاخ من قيم ومبادئ ديننا القويم، الذي هو بالنسبة لها الهدف الأول في العدوان واحتلال البلاد، ولما كان للمرأة المسلمة دور فاعل في صناعة الرجال ودوام المجتمعات متماسكة فقد انصبّ هدف الاحتلال عليها لتكون هي المصدر والمنطلق ثم هي الهدف الأساس في الحرب على هذا الدين القويم.

وهذا ما لمسناه واقعياً خلال السنوات الست المنصرمة حيث جند الاحتلال وأعوانه كل وسائل الهجوم الثقيلة منها والخفيفة، والمعلنة منها وما تسترّ بوجوه وأسماء مختلفة متخذة من صناعة التمويه والتضليل والتشكيك ستاراً للهدف الذي تسعى إليه، وتعتمد في ذلك على خطة مرسومة ومدرّوسة مستغلة بذلك سذاجة الكثيرين من أبناء هذه الأمة الذين أغرتهم شعارات المحتل في التحريير والانفتاح على العالم الخارجي وقد صوّرت لهم طفولتهم الفكرية إنهم قد حققوا مرحلة من مراحل الحياة أكثر ورديّة بامتلاكهم جهاز الصحن الفضائي أو الهاتف النقال أو خدمات الشبكة العنكبوتية متجاهلين ما تمر به البلاد، وما انتاب العباد خلال هذه السنوات من دمار وتشريد وتحطيم منظمّ للبنى التحتية وأهم بنية في تصورنا هي بنية القيم الإنسانية والتي أصبح العثور على حاملها حُلماً، هذه البنية هي التي يقوم عليها البناء المادي والبناء المعنوي لكل المجتمعات الإنسانية فكان من آثارها هذا الدمار الحاصل في البلد على جميع الصُّعد حيث الخراب في البنيان، والخراب في الهيكلية السياسية المتمثلة بالوزارات حيث تعمل فيها معاول السرقة والرشاوى، والمحسوبية، وتولي المسؤولية لمن ليس أهلاً لها، ثم الخراب الديموغرافي المتمثل بإثارة النعرات الطائفية والعرقية، ثم بناء المشروع السياسي القائم اليوم على أساس من هذه النعرات، وهذا من أخطر معاول الهدم في صرح

مجتمعنا العراقي والذي خَلَفَ محنة موعلة في الخطر صعبة جداً على إيجاد مخرج لها وحلول، ولولا لطف الله سبحانه، وقدره الماضي الذي لا يُرد؛ لأصبح العراق اليوم في خبر كان ولنعتق فيه غربان الظلام.

هذا الدمار والخراب الذي يعيشه بلدنا ترك بصمات حارقة في الجسد العراقي تحملت المرأة الجزء الأكبر منه حيث إنها تواجه هذه المحنة وحيدة بعيدة عن حماية الرجل حيث قتل أبوها وزوجها وغُيِّب أخوها وأبنها إما خطفاً أو اعتقالاً أو تشريداً وهُدم دارها، أو هُجرت منه.. حُرمت من أبسط مقومات الحياة في التعليم، والعلاج، وإيجاد فرص العمل، وتوفير الخدمات الضرورية في الحياة كالماء والكهرباء والمواصلات... وغيرها كثير وكثير.

ولا يُدرك حقيقة ما نقول إلا من عاش في وسط هذا الواقع المرير الذي يعيشه الشعب العراقي وتتحمل جُلّه المرأة.

وسنبين بعض آثار المعاناة التي تتحملها المرأة العراقية على جميع المستويات، وما خفي كان أعظم.

المرأة العراقية قبل الاحتلال

من المهم جداً قبل الخوض في واقع المرأة العراقية في ظل الاحتلال أن نعرّج قليلاً على الواقع الذي كانت تعيشه قبل احتلال البلاد؛ وذلك لأهمية المرحلة والدور، ثم لبيان شخصية المرأة العراقية بالذات، ولماذا استهدفت كل هذا الاستهداف المنظم الذي شمل كل مفاصل حياتها.

قالت لي مرة إحدى الأدبيات من دولة عربية مجاورة: لو مرّت بلادنا بنفس المحنة التي مررت بها في زمن الحصار وحده!! ناهيك عن القتل والتشريد لباعت نساؤنا كل شيء ولمحيت خريطة البلاد من الوطن العربي

-وتقصد الانهيار الاجتماعي وتفتت كيان الدولة- ولكن المرأة عندكم هي التي كانت سبباً مباشراً في هذا الثبات، وهذا التماسك.

وكُلُّنا نتذكر زمن محنة الحصار ودور المرأة العراقية في لملمة شعث الفقر والعوز والجوع، وغياب المُعيل، وكُنَّا نقف على صور من التضحية والصبر يسجلها التاريخ بمداد من نور، حيث تفننت المرأة العراقية في تلك المرحلة في وسائل سد الفراغ والوقوف في وجه المحنة العاصفة التي خلفها الحصار وما سبقه من حروب كادت أن تعصف بأركان البناء الاجتماعي لولا أن الله سبحانه سخر نساء ورجال هذا البلد الأبي للتصدي لها، من هنا ندرك سر الاستهداف وبهذه القوة لهذا البلد.

المرأة العراقية في زمن الحصار الظالم كانت تعجن العجين بيدها وتخبز الخبز في بيتها، وتزرع الخضراوات في حديقتها، وتصنع أنواع الصابون لأسرتها، وتصنع من العظام المغلية شراباً يعوّض أطفالها عن حرمانهم من فائدة اللحوم التي ما كان يتذوقها إلا شريحة خاصة من أبناء هذا الشعب في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ العراق.

حدثتني إحدى الأخوات أنها كانت تضع البترول في قارورة المياه الغازية، وتسد فوهتها بعجينة التمر كي لا تحترق الفتيلة من أجل توفير دريهمات ثمن الفانوس، وقالت كنت أصنع ذلك كي أوفر لقمة العيش لأولادي.

هذه صور من الثبات والصبر أيام المحن وغيرها كثير، وهذا ما لا يريده أعداء هذه الأمة؛ ذلك لأن المرأة الواعية المدركة والتي تتحمل المسؤولية عند اشتداد المحن وتسعى إلى تثبيت أركان مجتمعتها وتعويضه عما فات مما يغيض أعداء الله، فيكون ثباتها هذا بمثابة حرب موجهة لهم.

ثم جاء الاحتلال قاطعاً آلاف الأميال

يجر وراءه كل حقد دفين على هذه الأمة ومقدراتها، وتغيرت صورة الحياة، وتلونت باللون الأسود والأحمر، ووجهت السهام من أول يوم للمرأة العراقية المسلمة، فكان قرار مجلس الحكم برئاسة بريمر رقم (٣٧) بإلغاء قانون الأحوال الشخصية المعدل للعام ١٩٥٩م والذي يعتبر نبزاً لكل قوانين الأحوال الشخصية في العالم العربي، والذي راعى فسيفساء الشعب العراقي، وحبك نسيجه بما يراعي حقوق المرأة المسلمة، ويراعي حقوق المجتمع العراقي ككل، فكانت الموافقة على إلغاء هذا القانون من قبل مجلس الحكم خيانة للدين والأمة ولهذا الشعب المظلوم.

في زمن عبد الكريم قاسم سارت مظاهرات حاشدة في بغداد وكل المحافظات بسبب إلغاء فقرة من هذا القانون فيما يخص الميراث "للذكر مثل حظ الأنثيين" لأن عبد الكريم قاسم حارب شرع الله وقرر بحماقته مساواة الذكر بالأنثى بكل شيء فقامت الدنيا عليه حتى أرجع هذه الفقرة في القانون. فكيف بنا ونحن نشهد في أول خطوة يجرؤ عليها الاحتلال بإدارة مجلسه الحاكم بإلغاء قانون الأحوال الشخصية جملة وتفصيلاً!

وكانت من تداعياته هذه الشروخ الكبيرة والعميقة في تلاحم مكونات المجتمع العراقي، وفي تردي حقوق المرأة في ظل غياب دولة تحترم القانون.

ثم فتح الاحتلال منافذ وأبواب الغواية على مصراعيها

فجاء بأذنا به الذين حملهم على دباباته من الرجال والنساء ليقوموا بالدور المطلوب في تسييس فكر المرأة بما يخدم أهدافهم، ويحقق تطلعاتهم، حيث عقدت الندوات والمؤتمرات في كل أنحاء العراق تدعو المرأة إلى التحرر من سلطة الرجل وتحرضها على المطالبة بالمساواة به عن طريق مفهوم غريب

عن مفرداتنا اسمه (الجنذر) وقد حضرت إحدى هذه الندوات في عام ٢٠٠٤م في نادي الصيد في المنصور وذهلت مما سمعت ومما شدد انتباهي آنذاك أن إحدى المشاركات بالندوة ممن تحمل الجنسية الأمريكية كانت تغطي رأسها كناية عن الحجاب، وقد صوروا الإسلام كفترة زمنية مرت في تاريخ هذا الشعب واندثرت ولا بد للمرأة أن تنفض عنها غبار الاندثار وتتطلق إلى آفاق واسعة ورحبة في التحرير والانعقاد ولا بد أن يكون لها دوراً فاعلاً في هذه الفترة الزمنية المشرقة من عمر الاحتلال!!.

وانتشرت اللافتات في كل أرجاء بغداد تدعو المرأة العراقية للتحرر وكانت مضامينها تؤكد أن العراق لن تكتب له الحياة إلا بتحرير المرأة، وعوام النساء يفهمن ظواهر الأمور وينجرفن تحت طائل هذه الشعارات ظناً منهن أنهن سيكنّ في عالم أقرب ما يكون إلى المثالي، وهكذا دسوا السم في العسل وغايتهم واضحة وهي تحرير المرأة العراقية المسلمة من دينها وهويتها كي يسهل ابتلاع الفريسة؛ لأنهم يعلمون جيداً أن دور المرأة المسلمة في المجتمع المسلم كدور الحصن المنيع لأي بناء.

ثم شرعوا بإنشاء مراكز أسموها زوراً مراكز حماية المرأة وتدريبها على كافة الحرف اليدوية، وكانت تحمل هذا الطابع في ظاهرها ويتم تحقيق الهدف الذي يبيغونه من خلال تقديم الندوات، والتجمعات، والاحتفالات بسبب وبغير سبب، وهذه المراكز تتسم بالسعة في البناء والوفرة في الخدمات، حتى إن أغلب النساء عندما يخرجن إليها لا يتمنين الرجوع إلى بيوتهن، وحسب علمي أن مركزاً أنشئ في منطقة الأعظمية، وأنشئ مقراً في منطقة المنصور لاستقطاب شريحة كبيرة من النساء المثقفات، وقد عُقدت ندوة في جمعية الأخت المسلمة في سنة ٢٠٠٤م دُعيت لحضورها عقدتها إحدى البرلمانيات حالياً حيث دعت بقوة إلى تشجيع هذه المراكز ولا بد لكل مسلمة أن تدخل

فيها وكما ادعت أن دخولها واجب وهو باب من أبواب الدعوة حيث إنها ستلتقي بشرائح مختلفة من أبناء هذا الشعب، فلا بد من المشاركة كباب من أبواب الخير لإنقاذ ما يمكن إنقاذه!.
وأترك للقارئ الكريم التعليق!.

هذه المراكز كما ذكرت البرلمانية ستبنى في كل مناطق بغداد، ولم أتابع هذا الأمر بعدها لكنني متأكدة من مركزي منطقة المنصور ومنطقة الأعظمية.

ثم توالى الأحداث

وبدأت مرحلة التصفيات بواسطة المنظمات المشبوهة التي دخلت العراق والتي تتبنى تصفية الخيرين من أبناء هذه الأمة وفي طليعتهم رواد الفجر.. فكانوا -كما نحسبهم- أول فوج من أفواج شهداء العراق.. فكانوا يلتقطونهم كما يلتقط الطير من على الشجرة قصداً... من هنا بدأت المعاناة الحقيقية للمرأة في أول مراحلها حيث فقدت الأخ الحاني، أو الزوج القائم على شؤون الأسرة، أو الولد الذي هو قرة عينها، واستمرت مرحلة التصفيات والاعتقالات، والنفي، والتفجيرات، والسيارات المفخخة التي أودت بحياة الكثير من الرجال حتى حلت محنة تفجير المرقدين بسامراء والتي توجت هذه المحن كلها فكانت بمثابة عاصفة حارقة للجسد العراقي هشمّت مفاصله حتى كاد أن يلفظ آخر أنفاسه لولا لطف الله سبحانه وعنايته.

هذه الأحداث وما تلاها خلّفت في المجتمع مليون أرملة بل وأكثر بكثير لأن إحصائيات الحكومة لا يُعتمد عليها في الغالب!.

كذلك تركت هذه الأحداث على أرض الواقع خمسة ملايين طفل يتيم حسب إحصائية وزارة التخطيط الحالية، وهذا يعني أن العدد أكثر.

سجون الحكومة العراقية وسجون إقليم كردستان تضم (٤٦٠٠٠٠) معتقل.

هذا فضلاً عن مصيبة التهجير والاستيلاء على المنازل بل وحرق بعضها.

كل هذه المصائب تركت إرثها للمرأة العراقية فأصبحت وإذا بها تتحمل مسؤولية الأب والأم... كالحلة الوجهة متشحة بالسواد لا تفكر إلا بشيء واحد وهو: كيف تعيش، وكيف يعيش أبنائها القصر، فبعد أن كانت عزيزة كريمة أصبح شغلها الشاغل من مطلع النهار أين تذهب؟ وماذا تعمل كي تعيل هذه الأسرة المحطمة بسبب غياب الأب، الكثير من النساء لديهن شهادات علمية لكنهن لا تستطعن أن يجدن عملاً بسبب انتشار البطالة، مهندسات يعملن في وظائف عامة إما كاتبة في دائرة أو في مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني، الكثيرات من أصحاب الشهادات في الكيمياء والفيزياء والأحياء يعملن إما في روضات أهلية أو مدارس أهلية ابتدائية كوسيلة من وسائل الحصول على لقمة العيش وكي تحفظ ماء وجهها وأسرتها، وقد تجد لها عملاً وفي الغالب لا تجد فتضطر لطرق أبواب تتقوت منها لقمة العيش حتى لو كانت فيها شبهة، فأصبحنا ولأول مرة في تاريخ العراق أن نرى المرأة العراقية تعمل منظفة في محلات بيع الأثاث، أو في محلات بيع المواد الكهربائية تلبس (يونيفورم) خاص وتختلط برجال السوق، يتفطر قلب المسلم برؤيتها في هذا الموقع الذي كان الرجل في أيام عزها يمنعها من الوصول إليه وهو على قيد الحياة.

والكثير من النساء يطرقن أبواب الهيئات والمنظمات والجمعيات غير حكومية ساعيات لتحصيل فتات تسدّ به رمقها ورمق عائلتها التي خلفها لها الزوج الغائب، وهنّ كثيرات جداً باستثناء التي يكفلها أهلها وعشيرتها ويقاسي

أغلب النساء الأمرين في الحصول على لقمة العيش فضلاً عن متطلبات الحياة الكثيرة كالعلاج ومصاريف المدرسة، وإن لم تتوفر لدى الأم فليس أمامها سبيل إلا ترك الطفل عرضة لنهبة الشارع وهذا ما يحصل في الغالب. أما تكاليف العلاج فحدث ولا حرج ولا تقوى عليها هذه الشريحة، والمستشفيات الأهلية قد أقفلت أبوابها في وجه الأرامل وكلهم يسعون للكسب المادي، وكذلك أغلب العيادات الطبية لا ترحم الفقير ولا المسكين، فيضطرون لطرق أبواب الجمعيات الخيرية وهذه بالتالي هي مجرد تحصيل حاصل وهكذا تعيش الأرملة في دوامة.

إحدى الأرامل قتل زوجها وترك لها سبعة من الأولاد أكبرهم عمره أحد عشر سنة بعد وفاة زوجها بفترة قصيرة أصيبت بمرض السرطان، فهي لا تدري أين تتوجه هل تنتبه لنفسها أم تهتم بصغارها حاولنا مراراً مع المنظمات الدولية والمحلية في الحصول على المال الكافي لعلاجها وعمل عملية استئصال الورم، وكان الجواب أن أمثال حالتها كثير، ولو تصورنا حجم المعاناة التي تعانيها هذه الأم وحدها لأدركنا حجم الضرر الذي ألحقه الاحتلال ببلادنا، أو كمثال المرأة التي يقتل زوجها ووالدها وإخوانها وتبقى شبه مشردة وبسبب صعوبة العيش لا يتحملها الأقارب والأهل لفترة طويلة فتضطر للسكن في الهياكل التي لم يكتمل بناؤها أو تجد لها مأوى في مسجد أو مدرسة وهنّ كثيرات جداً، ونحاول بجهدنا القليل أن نداوي بعض الجروح البسيطة التي لا تغني ولا تسمن من جوع، ولكنها جهد المقل ولعلنا بها نعتذر إلى الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

إحدى الحالات المأساوية التي خلفها ظلم الاحتلال هي حالة الطفلة زهراء من أهل الفلوجة والتي عانت من ويلات الضربات العنقودية والصاروخية في الحرب الثانية على الفلوجة فانقلب البيت الذي كان يؤويها ويؤوي عائلتها

المكونة من الأم والأب والإخوان إلى كومة من الأحجار اندثر تحتها كل من كان فيه وانتهت حياتهم في لحظات، وأراد الله سبحانه لهذه الطفلة أن تعيش فأخرجوها من تحت الركام كومة لحم عدا النفس يصعد وينزل.. كانت معالم وجهها شبه مختفية لا أنف والشفاه مشروخة ولا تستطيع الكلام.... بهذا الشكل استقبلتها رابطتنا تستصحبها جدتها.

اتصلنا بعدة جهات خيرية من أجل إنقاذ هذه الطفلة المسكينة إلى أن وصلتنا الجمعية الخيرية القطرية بمستشفى الشيخ حمد في قطر، وحققنا بفضل الله تعالى نجاحاً كبيراً في إنقاذ هذه الطفلة حيث أجريت لها عدة عمليات من زرع وتجميل خلال سنتين!! وهي ترقد أغلب أيامها في المستشفى حتى عادت لا إلى طبيعتها الأولى ولكن أقرب ما تكون لها.

ليت القارئ يتدبر عظم البلاء.. وهذه حالة واحدة.. وجدة الطفلة زهراء أمية إلا أنها كانت عصامية واستطاعت بصبرها وتحملها أن تصل إلى ٧٠% من نجاح عملية زهراء.. فكيف لو كان أمثال زهراء آلاف بل عشرات الآلاف، من يعينهم على تخطي مأساتهم والوقوف إلى جانبهم؟! إذا كان الاحتلال هو القاضي والخصم وأعوانه مشغولون بتراث لم يحرصوا عليه كما تحرص الرجال فضاع منهم ولبسوا ما تبقى منه كحلل النساء وغرقوا في ملذاتهم حتى أصبح أهل البلاء الذي خلفه الاحتلال كريشة في مهب الريح تتجاذبهم الحشرات، والعلل، وقلة الحيلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا غيض من فيض مخلفات ديمقراطية الاحتلال، وما خفي كان أعظم، والحرب مستمرة على هذا الشعب، والمطارق متعددة، ولا خلاص إلا بالثبات على مبادئ هذا الدين القويم، والتمسك به والعض عليه بالنواجذ، والنصر قادم بإذن الله تعالى "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا"

ولن يستطيعوا بإذن الله ما دامت هناك عصابة تذود عنه وتحميه بالنفس
والمال، "ولينصرن الله من ينصره".
فطوبى لمن أدرك طريق الحق، وتمسك به، وضحّى من أجله، وطوبى ثم
طوبى للصامدين في زمن الفتن التي تموج كموج البحر، ولم تتلوث أيديهم
حتى بغيار الاحتلال البغيض.

"بلاك ووتر".. عنوان الحرب الصليبية في العراق

السيد أبو داود^(١)

تواكبت التقارير الأمريكية والغربية التي أكدت أن إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما قامت بتمديد عقد مع شركة "بلاك ووتر" لتوفير "خدمات أمنية" في العراق، رغم سوء سمعتها والجرائم التي ارتكبتها ورغم سجلها الفضائي، تواكبت هذه التقارير مع ما كشفته تحقيقات القضاء الأمريكي نفسه، وليست تحقيقات جهات عربية أو إسلامية، والتي أثبتت تورط شركة "بلاك ووتر" في عمليات قتل وتعذيب للعراقيين، وجاءت المعلومات على لسان شاهدي عيان عملا في السابق في هذه الشركة الصليبية المتطرفة.

هذا التواكب يؤكد التناقض في الرؤى والأهداف المعلنة، وهو يؤكد أيضاً أن السياسة الأمريكية في العراق لم تتغير، رغم خطب وتصريحات أوباما التي يبدو أنها تريد التغيير الإعلامي فقط وليس التغيير على أرض الواقع في بلاد الرافدين.

^(١) رئيس تحرير موقع (لواء الشريعة) الإلكتروني.

وبالعودة إلى القضاء الأمريكي وشركة "بلاك ووتر" نتوقف أمام ما أعلنه أحد الشاهدين أثناء التحقيقات عن تورط صاحب الشركة "إيريك برينس" في عمليات قتل للعراقيين، منها قطع رؤوس المدنيين العراقيين في عمليات قتل متعمدة، فضلاً عن جرائم الشركة في الولايات المتحدة نفسها ومنها حلقات جنس وتبادل زوجات، واستخدام أطفال في أعمال فاحشة، فضلاً عن عمليات تهريب السلاح إلى العراق، وتهريب الأموال، وتعيين أشخاص ذوي ماضٍ مخز في كوسوفو، والسماح باستخدام ذخائر تنفجر في الجسم البشري بعد اختراقه مسببة الموت الفوري والتشويه الأكيد، وتوظيف أشخاص مهووسين بقتل المسلمين والعرب، وتعمدهم حمل ألقاب لأسماء "فرسان مالطة" رأس الحربة في الحروب الصليبية، والذين ترتبط معهم "بلاك ووتر" بعلاقات وثيقة على مستويات العقيدة الدينية والتوجه السياسي.

كما نتوقف أمام اعتراف الشاهد الآخر لمحكمة فيدرالية في ولاية فرجينيا أن صاحب الشركة ورئيسها "إيريك برينس" سمح بهذه الأفعال والتصرفات ضد العراقيين لأنه يعتبر نفسه "مسيحياً صليبيّاً مهمته القضاء على المسلمين وعلى الدين الإسلامي ومحوه من على سطح الكرة الأرضية".

ولو أن كاتباً أو سياسياً أو إعلامياً عربياً قال هذا الكلام عن هذه الشركة المشبوهة، رغم تضافر الأدلة على صحته، لانهاالت عليه الاتهامات الغربية والاتهامات العربية العلمانية، واصفة إياه بالاستسلام لثقافة المؤامرة، وبإلقاء الاتهامات جزافاً بلا بيئة ولا دليل، أما وقد اعترف بها العاملون الأمريكيون أنفسهم في هذه الشركة فإن الأجدر بنا أن نتفق على أن الاحتلال الأمريكي للعراق كانت له رؤية وأهداف ومداخل صليبية مؤكدة لا جدال فيها.

هذا الاتفاق سيقودنا إلى اتفاق آخر وهو أن الحرب على العراق كانت جزءاً من حرب عالمية ضد الإسلام والمسلمين، أو بالأحرى حرباً صليبية

على الإسلام والمسلمين، وبالتالي تسقط وتتفي أية اتهامات سياسية أمريكية رددتها الولايات المتحدة لتبرير عدوانها، ويتعين أخيراً على الدول العربية والإسلامية موقفاً واستراتيجية لمواجهة هذا الخطر الداهم، الذي بدأ بأفغانستان ثم العراق ولكنه لن يتوقف حتى يهدد كل الدول العربية والإسلامية.

وقد يستغرب البعض كيف يتم محاكمة عناصر من هذه الشركة المشبوهة بالولايات المتحدة، رغم تعاونها الكامل مع الإدارة الأمريكية والبنّاجون، ولكن الاستغراب يزول حينما نعلم أن الاتهامات الموجهة للشركة لا تخص جرائمها في العراق، ولكنها تتعلق بعمليات تهريب السلاح إلى داخل العراق بشكل غير قانوني؛ إذ كانت تتم عبر طائرات تابعة للشركة كانت تحط في البلد المحتل من دون رقابة حقيقية، وتتعمد تدمير أدلة ووثائق، لكن التحقيقات في هذه التهم قادت إلى كشف جزء من الحقيقة، وتؤكد للعالم أن هذه الشركة الصليبية المتطرفة تورطت في عمليات قتل غير مبرر لمئات من العراقيين فضلاً عن إصابة وجرح الآلاف، تنفيساً عن غل وحقد دفين ضد الإسلام والمسلمين ترسخ في عقول وقلوب ونفوس هؤلاء الذين تربوا على ثقافة الكراهية لكل ما يخص الإسلام الحنيف.

بدايات تكشف المهمة والأهداف

تتبع النشأة الأولى للشركة يكشف عن أهدافها ومراميها الصليبية المتطرفة، فقد تأسست شركة "بلاك ووتر" عام ١٩٩٦م على يد المليونير المسيحي "إيريك برينس" الذي عمل سابقاً في البحرية الأمريكية، والذي ينتمي إلى المحافظين الجدد والملتصق بالتيار المسيحي الصهيوني، والمعروف عن عائلته تاريخياً هذا التوجه، ووالده أحد الممولين الكبار للتيار المسيحي المتطرف، وإيريك نفسه تحول إلى الكاثوليكية ليكون أقرب إلى التصور الذي

يشكل عقيدته كأحد مقاتلي "الحرب الصليبية الجديدة"، كما ساهم إيريك بدعمه المادي في صعود تيار اليمين الديني الذي ينتمي إليه. ثروة إيريك ساعدت في صعود شركته بسرعة كبيرة، خاصة مع امتلاكه مساحة شاسعة من الأراضي تقدر بحوالي خمسة آلاف هكتار في بلدة "مويوك" بولاية "كارولينا الشمالية" أقام عليها الشركة، وحددت "بلاك ووتر" عملها في "الالتزام بتوفير طلبات الحكومة المتوقعة من حيث الأسلحة والتدريب على النواحي الأمنية".

استطاعت "بلاك ووتر" توقيع عقود مع إدارة بيل كلينتون، لكن التحول الكبير في عمل الشركة وشهرتها كان مع وصول جورج بوش الابن إلى البيت الأبيض، وهو اليميني المتطرف الذي يتلاقى في عقيدته وأفكاره مع إيريك برينس، وجاء التحول الأكبر بعد أسبوعين من هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م، حيث أصبحت الشركة لاعباً رئيسياً في الحرب على أفغانستان وعلى العراق فيما بعد.

أبرمت الشركة العديد من العقود مع إدارة بوش وصارت خلال السنوات التالية من أكثر المستفيدين من استراتيجية "الحرب على الإرهاب" التي ابتدعتها بوش الابن، وربحت حوالي بليون دولار في عقودها السرية مع الحكومة، أغلبها بالتكليف المباشر وبدون الدخول في أي عطاء أو منافسة، وخلال عشر سنوات تمكن إيريك من توسعة منطقة المقر الدائم للشركة إلى سبعة آلاف هكتار، جاعلاً منها أكبر قاعدة عسكرية خاصة في العالم.

كانت "بلاك ووتر" تتمو بصورة تكاد تصل بها إلى مستوى الجيش المصغر، وأصبحت تعادل قوتها قوة جيش في دولة صغيرة بل ومتوسطة، خاصة بعد أن أصبح يعمل بها مليونان وثلاثمائة ألف فرد في جميع أنحاء العالم، وبعد أن أصبح لديها أسطول جوى يقدر بـ ٢٠ طائرة بما فيها

طائرات الهيلوكبتر المقاتلة وجهاز خاص للاستخبارات، كما أنها تقوم بتصنيع مناطق المراقبة وتحديد الأهداف.

ولكي تدعم الشركة مكانها وسطوتها، استعانت بخدمات العديد من كبار الموظفين المقربين من إدارة بوش الابن وعينتهم في مناصب قيادية.

"الفلوجة" كشفت المستور

عندما قامت القوات الأمريكية بدخول "الفلوجة" وأخذ مركز لها في البنايات المدرسية وبعض الأبنية الرسمية الأخرى ومقرات حزب البعث في ٢٨ أبريل ٢٠٠٣م، قام بعض أهالي المدينة بتظاهرة احتجاجية على تصرفات الجنود الأمريكيين من اعتقالات ومداهمات وسرقة محتويات البيوت، وانتهت هذه التظاهرة بقتل (١٧) من أهالي المدينة المشاركين في التظاهرة، أمام إحدى المدارس التي استخدمها الجيش الأمريكي كمواقع عسكرية، وكانت هذه الحادثة هي الشرارة الأولى التي أدت فيما بعد إلى تصاعد عمليات المقاومة ضد جيش الاحتلال الأمريكي وإلى معركة "الفلوجة" الأولى.

كان يوم ٣١ مارس ٢٠٠٤م يوماً مهماً في تاريخ "بلاك ووتر"، ففي هذا اليوم تعرض أربعة من جنود هذه الشركة بـ "الفلوجة" البطلة للهجوم وقتلوا، وقامت الجماهير بجر جثثهم في الشوارع، ومن هذه اللحظة حدث تحول في الحرب على العراق، حيث قامت القوات الأمريكية بعد ذلك بعدة أيام بالثأر من أبناء "الفلوجة" عن طريق محاصرة المدينة وأعملت فيها آلتها وترسانتها العسكرية، وقتلت وشردت الآلاف من أهلها، مما أشعل مقاومة عراقية شرسة استمرت في اصطياح عناصر قوات الاحتلال حتى اليوم، واستمرت المعركة عاماً كاملاً وبضعة أشهر وانتهت لصالح المقاومة، وعجزت القوات الأمريكية عن نقل جثث قتلاها.

استفادت "بلاك ووتر" من هذه الشهرة التي تحققت بفعل الأعمال القذرة للعدوان، وبفعل التغطية الإعلامية الغربية المركزة على الشركة ودورها في العراق ودورها في الحرب على "الفلوجة"، وعملت الشركة بعدها على استثمار ما حققته من شهرة، وقامت بعد ذلك بتعيين موظفين كبار مقربين من إدارة بوش الابن في مناصب مرموقة بالشركة.

وإلى جانب حادثة "الفلوجة"، فإن اسم الشركة تردد في أكثر من حادث وعمل عسكري للمقاومة، ففي نيسان/ أبريل ٢٠٠٥م نجحت المقاومة من إسقاط طائرة نقل تعود ملكيتها للشركة كانت تقل (١١) شخصاً قتلوا جميعاً، ستة منهم كانوا من حملة الجنسية الأمريكية، ثلاثة بلغاريين واثنان من فيجي، وفي ٢٣ كانون الثاني/ يناير عام ٢٠٠٦م، أسقطت المقاومة طائرة أخرى تعود ملكيتها إلى شركة "بلاك ووتر" في شارع حيفا قتل فيها خمسة أشخاص. حادثة شارع حيفا كشفت الكثير عن طبيعة عمليات الشركة الخفية، وتجاوز دورها لمهام توفير الأمن والحماية للشخصيات والمنشآت، وانتقالها إلى دور المشاركة الفعلية في العمليات العسكرية كبديل للقوات الأمريكية المسلحة.

ولهذا الدور فإن الشركة لا تجند الأمريكيين فقط بل إنها تجند عناصر المرتزقة من كافة أنحاء العالم، ربما من أبرز هؤلاء "الموظفين الأمنيين" الكوماندوز التشيليين الذين سبق وأن تدربوا وعملوا في الأجهزة الأمنية القمعية التابعة لحكومة الدكتاتور التشيلي السابق (أوغستو بنوشي)، هذه العناصر تتقاضى أجوراً عالية، حيث يبلغ معدل الدخل اليومي للعاملين في هذه الشركة ما بين ٣٠٠ و ٦٠٠ دولاراً أمريكياً.

امتداد لـ "فرسان مالطا" الصليبية

في كتابه: "بلاك ووتر.. صعود أقوى جيش مرتزقة في العالم"، يشير الصحفي الأمريكي جيرمي سيكل Jeremy Scahill إلى العلاقة الوثيقة التي تجمع بين شركة "بلاك ووتر" للمرتزقة ومنظمة "فرسان مالطا" السرية، المنشقة عن "فرسان المعبد" التي تعود جذورها إلى القرن الحادي عشر (وهي من بقايا غزوات الفرنجة والصليبيين على العالم الإسلامي).

إذ تزود "فرسان مالطا" شركة "بلاك ووتر" وغيرها من شركات المرتزقة الدولية، بمجندين تحركهم الحماية الأصولية المسيحية، ليقاثلوا في الأماكن الخطرة (العربية أو الإسلامية) التي يتردد باقي المرتزقة في دخولها.

ودولة "فرسان مالطا" حقيقة قائمة ولكنها دولة اعتبارية بكل المعايير؛ فهي بلا أرض ولا حكومة ولا شعب، وتمثلها ٩٦ سفارة افتراضية حول العالم. يقع المقر الرئيسي للمنظمة في العاصمة الإيطالية روما، ويحمل اسم "مقر مالطا"، و"فرسان مالطا" نظام تاريخي ظل يحتفظ بالصفة السيادية، حتى بعد انهيار النظام ذاته وخروج الفرسان من مالطا وفقدانهم لأية قاعدة إقليمية، وتحولهم إلى مجرد هيئة خيرية، ومع هذا الوضع احتفظ الفرسان بحق إرسال بعثات دبلوماسية من جانبهم، وعلى مستوى السفراء، وهم بذلك يمثلون استثناءً فريداً في مجال العلاقات الدبلوماسية والقواعد والأعراف المنظمة لها.

وبدأ ظهور فرسان مالطا عام ١٠٧٠م، كهيئة خيرية، أسسها بعض التجار الإيطاليين، لرعاية مرضى الحجاج المسيحيين، قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، إلا أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد.

وعندما قامت الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٧م وتم الاستيلاء على القدس تم تأسيس تنظيم "رهبان مستشفى قديس القدس يوحنا" وهؤلاء بحكم

درايتهم بأحوال البلاد قدموا مساعدات قيمة للصليبيين، خاصة بعد أن تحولوا إلى نظام فرسان عسكريين.

بعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين عام ١١٨٧م على يد صلاح الدين الأيوبي هرب الفرسان الصليبيون إلى البلاد الأوروبية. وبسقوط عكا ١٢٩١م وطرده الصليبيين نهائياً من الشام اتجهت هيئات الفرسان إلى نقل نشاطها إلى ميادين أخرى؛ فاتجهوا إلى شمال أوروبا وجنوبها.

وبقيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩م وغزوها إيطاليا فقد الفرسان الصليبيون ممتلكاتهم وامتيازاتهم في فرنسا وإيطاليا وانتهى بهم الأمر بفقد مقرهم في جزيرة مالطا نفسها وطردهم منها على يد نابليون أثناء حملته على مصر عام ١٧٩٨م، ودخلوا في مرحلة من الشتات والتفرق، وذهب بعضهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية وصادف وصولهم فترة الحروب الأهلية هناك، فتحالفا مع منظمة الكو - كلوكس - كلان الإرهابية العنصرية التي كانت تطالب في ذلك الحين بالدفاع عن المذهب الكاثوليكي وعن سيادة الرجل الأبيض ومنع مساواة المواطنين السود مع البيض في الحقوق، وتوثقت العلاقات بين المنظمين، خاصة وأن كلتا الحركتين (الفرسان، وكوكلوكس) كانتا تركزان على العودة لأصول الدين المسيحي الكاثوليكي.

ويقدر عدد المتطوعين الذين يعملون معهم بحوالي نصف مليون شخص، منهم زهاء مائة ألف في فرنسا وحدها، ومثلهم في ألمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، وغير المتطوعين في الولايات المتحدة وحدها ألف وخمسمائة فارس، وقد انضم إلى عضويتها عدد من أصحاب الملايين خصوصاً أن نشاطهم الحالي خيري ويختص بالمستشفيات مما يغري بالتبرع لهم.

الوجه الصليبي استبان

السنوات الست للاحتلال أظهرت الوجه الصليبي له وبرهنت للعالم أجمع أن الهدف لحرب العراق ليس السلام والأمن الدوليين بل هي الأهداف الخاصة التي رسمتها الإدارة الأمريكية البروتستانتية اليمينية المتطرفة للسيطرة على العالم العربي والإسلامي، ثم تهيئة الأجواء من أجل نشر التنصير وفرض المسيحية الصهيونية وتنصير المسلمين واستخدام العراق كقاعدة لتنصير العالم الإسلامي بأكمله.

هذا الكلام ليس جزافاً بلا دليل، بل أكدته برنامج في التلفزيون الألماني وأكدت مجلة "دير شبيجل" الألمانية في ٢٧/٢/٢٠٠٣م وقبل شهر من العدوان على العراق حيث أوردت أن هذه الحرب ما هي إلا "تكليف إلهي.. مهمة تبشيرية.. للقضاء على الأشرار (وهم المسلمون) وللإعداد لما يسمى بمعركة هرمجدون، التي تهيئ للعودة الثانية للمسيح، وبالتالي فرض كلمة الله (أي الدين المسيحي الصهيوني) على العالمين العربي والإسلامي، ومن ثم العالم بأكمله، عن طريق تنصير الشعب العراقي ثم العالم العربي بأكمله، وهو المعنى الذي أوردته القناة الأولى الألمانية خلال برنامجها الأسبوعي بانوراما تحت عنوان: "المسيحية التبشيرية في العراق"، يوم ٢٤/٦/٢٠٠٤م مؤكدة أنه بعد الاحتلال العسكري.. "يأتي التبشير".

لماذا نتعجب من ذلك؟ فالرئيس بوش الابن نفسه اعترف بأنه يشن حرباً صليبية وتحدث عن معركة الخير ضد الشر، والعدالة الأبدية، ومحور الشر، كما أن المسيحيين المتطرفين سيطروا وما زالوا يسيطرون على دوائر القيادة في الإدارة الأمريكية، وبوش كان يهدف من كل ذلك إلى قيادة الحرب المقدسة ضد العالم الإسلامي بأكمله.. وهذا ما تجلّى في العديد من التصريحات التي كان أبرزها ما قاله الجنرال "ويليام بوكين" مساعد وزير

الدفاع رامسفيلد، والذي قال: "إلهنا أكبر من إلههم، وإلهنا إله حقيقي.. بينما إلههم إله مزيف!" وهو ما أيدته بشدة الكنائس البابتيسية.

في هذا الإطار الصليبي التبشيري تم الكشف في العراق بعد سقوطه في يد الاحتلال الأمريكي عن حملات تنصيرية، وجدت العناية والدعم من المحتل الأمريكي، بل وبمشاركة المقاتلات الأمريكية نفسها التي قامت بإلقاء المنشورات والكتب الدينية على الشعب العراقي في مناطق مختلفة.

وقد دخلت أكثر من مائة منظمة تنصيرية العراق بعد الاحتلال، وأكبر هذه المنظمات: "هيئة الإرساليات الدولية"، الذراع التبشيرية للمعمدين الجنوبيين، والذين يعدون أكبر طائفة بروتستانتية في أمريكا، و"مجلس الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، ومجموعة من المعمدين الجنوبيين من ولاية نورث كارولينا، و"هيئة المعونة الأمريكية"، و"منظمة كريستيان شاريتي ورلد نيشون إنترناشونال"، ومنظمة "المجتمع الدولي للإنجيل"، ومنظمة "تعليم أمة كاملة" تعرف اختصاراً: (داون)، ومنظمة "سامرتيان بيرس"، ومنظمة "المنصرين البروتستانت".

وقد استطاع المنصرون العاملون في العراق خلال عام واحد، أن يوزعوا مليون نسخة من الإنجيل باللغة العربية، وشرائط فيديو تجسد ميلاد المسيح وحياته، وتعليقات تدعو المسلمين للدخول في النصرانية، ومليون كراسة دعائية إنجيلية.

تصريحات القس الأمريكي والصدّيق الشخصي للرئيس الأمريكي بوش الابن "فرانكلين جراهام" كانت حاسمة وقاطعة حينما قال: "إننا في العراق من أجل مهمة مسيحية في المقام الأول، إننا نسعى لتنصير العراقيين، وأتمنى أن نذهب جميعاً إلى كل بلدة في العالم لنمنحهم الخلاص، وإنني لا أتخيل أن يأتي

علينا يوم نتوقف فيه عن التبشير، لأن الأمر، ببساطة، هو عرض حقيقة مهمة، وهي أن يسوع المسيح هو ابن الله).

ولم تكن مجلة النيوزويك الأمريكية مبالغة عندما جاء في صفحاتها قبيل الغزو: "بوش وأنصاره من الإنجليين يأملون أن تكون الحرب القادمة على العراق فاتحة لنشر المسيحية في بغداد". وتنقل المجلة عن ريتش هايني من منظمة "داون" التنصيرية قوله: "لم تحظ الحركة التبشيرية الإنجيلية بفرصة جيدة منذ أكثر من عقد من الزمان مثل العراق، وإنه في مقدورنا أن نقول: إن هذه الحرب نعمة للمبشرين".

والآن وبعد كل ما سقناه من حقائق وأدلة... هل بقي منا زال متشككاً في أن الحرب على العراق كانت مرحلة مهمة من مراحل وسلاسل الحروب الصليبية التي بدأها الغرب الصليبي على أمتنا؟ وهل مازال بيننا من يحسن الظن بأمريكا وسياساتها في عالمنا العربي والإسلامي؟ وهل ما زال منا من لا يرى ضرورة وحتمية مواجهة هذه الهجمة الصليبية بصورة مجتمعة وبقيادات وجيوش موحدة؟.

جذور الإرهاب

محمد رشيد^(١)

لماذا هذا البحث؟!

ليس واجب هذا البحث توثيق جرائم (الإرهاب السري) أو (الجرائم الحربية) التي قامت بها قوات الاحتلال ومرتزة الشركات الأمنية والميليشيات و فرق الموت التي نشرت في أرض العراق الفساد والجريمة وهي كثيرة جداً ومن الصعب إحصائها وتوثيقها في هذا البحث.

إنّ هذه الصفحات محاولة للبحث عن الجذور التاريخية للجرائم السرية الغامضة التي حصلت في العراق، وأصولها الفكرية والعقائدية؛ والتي أنشأت (ثقافة القتل غير المبرر والمفرط في الوحشية) التي يصعب على أي عاقل تفهمها، والغريبة تماماً عن العقلية والثقافة العراقية، وتعد مهددة للأركان الاجتماعية السائدة قبل احتلال العراق عام ٢٠٠٣م.

على أن نحاول إن شاء الله الاستمرار في بحوث لاحقة حول قادة الإرهاب الأمريكي في العالم ثم وبعون من الله سنلقي الضوء على بعض

(١) كاتب ومحلل سياسي عراقي.

الجرائم التي حدثت في العراق، وللإدارة الأمريكية أصابع وبصمات واضحة فيها.

تأثير في المجتمع العراقي (بين البداوة والحضارة)

يمكن أن يوصف العراقي بالمزاجية، وقد يوصف أيضاً بالتقلب تبعاً لجو العراق المتقلب والمتناقض بين شتاء مفرط في البرودة، وصيف لا يطاق من الحرارة! ويمكن أن يوصف بالقسوة لكنه لم يكن وحشياً ولا دمويّاً (خصوصاً منهم أهل الحواضر) ولم تكن الجرائم المفرطة في القسوة والإجرام إلا من النواذر التي تهز الوجدان الاجتماعي وكانت نسبة جرائم القتل العادية أقل مما كانت عليه في الكثير من البلدان الأخرى (كانت جرائم القتل المتعمد الشائعة هي جرائم الشرف والنزاعات العشائرية والثأر في الأرياف والخلافات المالية).

أما جرائم القتل لأغراض السرقة أو التسليب فقد كانت نسبتها متدنية قياساً إلى تلك الجرائم)، وقد يقول قائل: إن ذلك كان بسبب قوة الدولة وبطشها آنذاك ولكن طبيعة المجتمع العراقي لا تؤيد ذلك؛ وتراجع نسبة القتل بسبب دوافع إجرامية خاصة هو دليل قوي على عدم شيوع عقلية القتل في الأوساط الاجتماعية العراقية، وكلنا يتذكر حجم الهلع والرفض الاجتماعي لجرائم (السفاح) (أبو طبر) الذي لم يتجاوز عدد ضحاياه تسعة ضحايا.

والحقيقة أن عقلية أهالي الكثير من المدن المهمة في العراق وعلى رأسها بغداد والموصل والبصرة والنجف وكركوك بشكل خاص عقلية (حضرية) وقد تحررت من البداوة قبل الكثير من حواضر المدن العربية المجاورة

للعراق، فالبصرة على سبيل المثال كانت ومنذ تأسيسها ميناءً مهماً جداً من مواني المنطقة العربية، وأكبر مواني الخليج العربي في حينه، الأمر الذي أتاح لها فرصة امتزاج الثقافات من خلال حركة السفن في موانئها المتعددة، وكذلك الشركات التجارية الأجنبية العاملة في البصرة (وكان ذلك في حينه من أهم موارد التفاعل الحضاري قبل ثورة الاتصالات والإنترنت) ثم ازداد ذلك في تاريخ العراق الحديث بعد دخول شركات النفط الإنكليزية إلى العراق ثم الانفتاح الكبير أمام الشركات التجارية والصناعية الأجنبية (الإنكليزية والهندية والألمانية والإيرانية) لذا فقد كانت النوادي والملتقيات والاجتماعية موجودة في مدينة البصرة (نوادي شركة النفط والميناء والسكك)، وبهذا كانت البصرة حاضرة ولم تكن بادية، ولهذا أمتاز أهل البصرة بالانفتاح على الغرب والترحيب به وعدم الانغلاق، وتعاملهم الجيد والطيب مع الجميع (إضافة إلى ما هو المعروف من أن البصرة كانت في تاريخها الموغل في القدم من الحواضر العربية والإسلامية).

وكذلك بغداد (فهي حاضرة الدولة العباسية وعاصمة الخلافة والثقافة) ولقد تأثرت كثيراً بفعل كونها العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية للعراق والتي أخذت حصة الأسد من البعثات والمراكز الثقافية والحضارية والجامعات المختلفة و لم تكن في يوم ما ذات صفات بدائية بل كانت على الدوام ضحية الهجمات والغزوات البربرية والبدائية من الخارج وكانت على الدوام طموح أهل الأرياف في الوصول إلى بغداد وهذا يعني الوصول إلى الأمان والاطمئنان.

أما مدينة النجف فقد جمعت بين أمرين مهمين ساهما في صناعة شخصيتها الاجتماعية الأول هو كون النجف مقراً لأهم مراجع الطائفة الشيعية في العالم وفيها مرقد الإمام علي عليه السلام ورضي الله عنه وكرم وجهه

وهو المزار الأول لكل شيعة العالم ويؤمه الكثير من المسلمين في العالم وهذا ما جعل النجف تستقبل الكثير من الأجناس والأعراق والثقافات وتتعامل معهم دينياً وثقافياً وتجارياً، والأمر الثاني أنها كانت من عواصم اللغة العربية منذ القدم ولها مدرستها الخاصة منذ تأسيسها وتوارثت الثقافة لتصبح في بعض الأحيان حاضرة للثقافة والشعر وتنافس بغداد في ذلك، ومنها خرج عدد من كبار الشعراء والمتقنين، وتعددت فيها المدارس العلمية والمنتديات الثقافية وتكاثرت فيها الصحف والمجلات والكتب وازدهرت فيها المطابع.

وما يقال عن البصرة من تمازج الحضارات والأقوام يمكن أن يقال على كركوك (عاصمة النفط العراقي) بل إن كركوك وبفعل نمو الصناعات النفطية فيها كانت تحتاج أكثر من البصرة إلى الخبرات العراقية فتوافد عليها العراقيون من كل مدن العراق وبالأخص الخبراء منهم والأكاديميون، فكانت خلية للعمل والإنتاج والتمازج الاجتماعي الرائع والمتقف، كما أن تطور الوضع الاقتصادي للعاملين في شركات النفط في مدينة كركوك بفضل رواتبهم الخاصة جعلهم يتقدمون بشكل أسرع في الكثير من الأوجه الثقافية الحضارية!

ومما يدل أيضاً على وجود الانفتاح والتعايش الحضري في تلك الحواضر أنه كان لليهود دورهم الاقتصادي في البصرة كما كان للمسيحيين والصابئة في بغداد دورهم السياسي والاقتصادي المعروف، وكان للمسيحيين دورهم الاقتصادي وتميزهم في كركوك.

وكان الخوف يقبع في الطرق الخارجية البعيدة ولكنه رغم همجيته إلا أنه لم يبلغ في يوم ما أن يكون بالوحشية التي شهدتها العراق أعوام الاحتلال بشكل عام وعلى وجه الخصوص عامي ٢٠٠٦م و ٢٠٠٧م.

وقد يقول قائل: (إن ليس في الأقطار الإسلامية كلها قطر يشبه العراق من حيث استفحال النزاع بين هاتين الطائفتين _ السنة والشيعَة _ فيه) علي الوردي _ دراسة في طبيعة المجتمع العراقي _ ص ٢٢٨.

وهذا أمر صحيح ولا خلاف عليه ولكن المقصود بالنزاع هنا هو (النزاع الفكري أو النزاع النظري) الذي لم يتحول في يوم من الأيام إلى نزاع مسلح كما كان يحدث في بعض الأقطار الإسلامية الأخرى كالهند وباكستان.

وهذا النزاع ناتج من الاختلاط الطائفي في العراق فهو مجتمع متداخل بشكل كبير جدا ولا يوجد فيه عزل طائفي جغرافي كبير بين السنة والشيعَة وهو متداخل قبليا وعشائريا ومتداخل اقتصاديا بل ومتداخل عائليا واجتماعيا مما وفر جواً من التفاعل والحوار الفكري بينهم الأمر الذي أوجد هذا النزاع الفكري لكنه لم يتطور في أي يوم من الأيام وطيلة تاريخه الحديث إلى (نزاع مسلح كما حدث في عام ٢٠٠٦ م) ولو حدث هذا لتحطمت البنية الاجتماعية والاقتصادية في العراق بل على العكس تماماً فإن الكثير من النزاعات العشائرية اتخذت منحى التعصب العشائري في غالب الأحيان على حساب الانتماء الطائفي؛ وكانت النزاعات القبلية والاقتصادية منتشرة في الكثير من المدن والقرى والبوادي العراقية (نزاعات المياه والأراضي الزراعية والمراعي) وعلى عكس النزاعات الطائفية أتمت هذه النزاعات بالعنف المسلح في الكثير من الأحيان.

والحقيقة أن هذا النزاع الطائفي الفكري في أحد صورته مؤثر لوعي المجتمع وتطوره ومدى تغلغل هذا الفكر في حياة الإنسان ؛ فكل نشاط فكري غير تقليدي هو حاصل نضوج حضاري واجتماعي والعكس صحيح أيضاً كما أنه مؤشر من مؤشرات التحرر الفكري وعدم الانغلاق فالمجتمع العراقي

بشكل عام والحواضر منه بشكل خاص كان ينزع إلى التحرر والاتباع بدلاً من التقليد والانغلاق.

ويمكن أن نشاهد صوراً كثيرة لهذا التنزع الفكري الذي يكاد أن يكون سمة اجتماعية في العراق من خلال تعدد الأحزاب (حتى في حال وحدة مراجعها الفكرية والعقائدية) و القيادات السياسية وتعدد المرجعيات الدينية والعشائرية و الاجتماعية.

وكذلك نزاعات المناطقية بين بعض المدن مثلاً على الرغم من أنهم من أصول واحدة، ونجد أيضاً التنافس والتفاخر في مستوى التقدم والتأخر التي يعبر عنها بإعطاء صفات عن أهالي بعض المدن بحيث تكون حديثاً شعبياً متداولاً بين الناس ولكنه لا يرقى إلى أن يكون له مكان في الأحاديث العلنية.. والغريب والطريف في الوقت عينه أن الذين يتناقلون تلك المبالغات والنكات والقصص هم أنفسهم المعنيون بها (وقد يكونون من أهم مخترعيها) ولكنهم تناقلوها بلسان السخرية وروح الدعابة ولم تنتقل في يوم من الأيام إلى ساحة الصراع المسلح.

المهم أن النزاع الطائفي موجود في المجتمع العراقي لكنه كان في شكله الفكري والنظري فقط ولم يكن نزاعاً مسلحاً بل على العكس كانت هناك الكثير من ظواهر الاختلاط الطائفي في بعض مناطق العراق وبغداد منها على وجه التحديد ففي منطقة كـ (باب الشيخ عبد القادر الكيلاني) مثلاً كان السنة يشاركون الشيعة في مراسيم عزاء الحسين وفي المواكب الخاصة بمناطقهم وكذلك يتواجد الشيعة في ليالي الخميس في الحضرة القادرية ويشاركونهم في المدايح الصوفية. وكذلك نرى ما يشبه ذلك بين الأعظمية والكاظمية.. ونشهد في كل المحافظات التي يتواجد فيها الشيعة والسنة معاً.

ما الذي جرى لتتحول بغداد عاصمة الثقافة والحضارة إلى مجزرة للقتل الوحشي وتسود فيها ثقافة القتل والتخلف والهمجية!.

هناك أمر طارئ وهناك عناصر خارجية لا تمت إلى حاضرة بغداد أو البصرة أو النجف أو كركوك هي التي غدت هذا التحول الغريب الذي أستطاع الحس الحضاري العراقي أن يتجاوزه بسرعة بعد أن تحول وبفعل ((تفكير جمعي مخلوق طارئ)) في فترة ما (فترة فقدان الوعي) إلى (أداة) بيد قوى وأجهزة خارجية عملت على استخدامه في قتل نفسه وتحريف ماضيه واستئصال مستقبله!.

هذا فضلاً عن تميز المجتمع العراقي عن المجتمعات التي تجاوره من (التمازج العرقي والمذهبي) اجتماعياً وأسرياً ومناطقياً واقتصادياً بشكل لا نجد له نظيراً في المجتمعات الأخرى المنعزلة طائفيّاً إلى حد كبير ومن النادر (على سبيل المثال) أن يتزوج السني شيعية أو بالعكس في بعض البلدان المجاورة للعراق، بينما يعد هذا من الأمور المعتادة في المجتمع العراقي وعلى وجه الخصوص قبل الاحتلال، فضلاً عن التداخل والتمازج العشائري والأسري بين المذهبيين إلى حد لا يمكن فصله ولعل هذا جزء من ناتج التفكير الحضري المترسخ في الذهنية العراقية التي اهتز برهة من الوقت أمام (المستعمر) الأمريكي.

أن ما حدث بعد احتلال العراق من جرائم (قتل على الهوية والاسم والمجازر الجماعية والقتل الطائفي والقتل العشوائي والقتل بدوافع السرقة والتسليب والاغتيالات السياسية والقتل بالتعذيب الوحشي السادي وتقطيع الأوصال وتنقيب الأجسام وقتل الأطفال وصغار السن والنساء والشيوخ والعلماء والأطباء واستسهال التعذيب والاغتصاب والقتل الاستعراضي وإطلاق الكلاب المفترسة على البشر وتأجيج الصراع والتمايز العرقي

والطائفي ومن ثم الحزبي وتهديد البنية الاجتماعية وثوابتها بالانهيار!!، والتغريب والاجتثاث في الداخل والتهجير والغربة في الخارج والداخل ومن ثم انهيار البنية الاجتماعية والأمن والسلام الاجتماعيين) كل ذلك كان غريباً جداً على الشخصية العراقية وبعيداً عن طبيعة المجتمع العراقي، ولكن كيف حدث هذا؟.

مما لاشك فيه أن هناك بعض العوامل قد ساعدت على حدوث هذا (الانهيار) الاجتماعي وليس (الانقلاب) الاجتماعي، وقد تأتي هذه بفعل عوامل عديدة منها ما هو (داخلي) وقد يكون سياسياً أو اقتصادياً، ومنها ما هو (نفسى) متوقع في كل البلدان التي تهزم في الحروب؛ ولكن لهذه الجريمة بلا أدنى شك عوامل خارجية تولت اقتناص كل عوامل الخلل الداخلي وكل الاهتزازات التي رافقت ظروف احتلال العراق وعمقت كل نقاط الاختلاف (التي لا يمكن أن يخلو منها أي مجتمع وتزداد بفعل التطور الحضاري لتلك المجتمعات والتي قد تكون (أذا ما أحسن إعدادها واستغلالها بالشكل الجيد) عناصر إيجابية تساهم في تقوية الناتج الاقتصادي و المنتج الإجمالي الثقافي والفلكلوري للمجتمع بحيث تصبح عاملاً مهماً من عوامل التطور.

إن أهم العوامل التي (خلقت) هذا الانهيار الاجتماعي وزرعت (نوعاً غريب من التفكير الإجرامي) داخل المجتمع العراقي هي (العوامل الخارجية) التي كان لها جذورها التاريخية الخارجية التي تؤكد ما ذهبنا إليه، وأقصد هنا (الجرائم الغامضة والسرية) التي ارتكبت بعد احتلال العراق والتي أُلقيت أعباء الكثير منها على العراقيين فيما افترض قسم كبير منها بعد وتبين أنها من فعل غيرهم، تلك الجرائم التي اتصفت بالعنف المفرط غير المبرر والهمجي المتخلف، واستهدفت الوحدة الوطنية العراقية، وعملت على إحداث شرخ اجتماعي كبير في المجتمع العراقي.

إضافة إلى الجرائم (العنصرية) التي أرتكبتها (الجنود الأمريكيان وفرق وشركات الحماية الأمريكية المختلفة، ومنها مرتزقة بلاك ووتر) وبمنتهى الرعونة والهمجية المتخلفة التي تحمل نفس البصمة ونفس (الثقافة)، وهنا أريد أن أذكر أنني لا أتكلم هنا عن (جرائم الحرب المباشرة التي أرتكبتها الجيش الأمريكي أثناء الاشتباكات المباشرة سواء قبل وأثناء وبعد احتلال العراق وسواء كانت تلك الاشتباكات مع الجيش العراقي النظامي الرسمي أو مع عناصر المقاومة الشعبية)؛ ولكن الذي أريد أن أقوله: إن الاحتلال ارتكب (جريمة كبرى) في حق العراقيين تتجاوز حتى فلسفة (الصدمة والرعب) الرعناء و(الفوضى الخلاقة) المتخلفة.

لا شك بأن هناك جريمة واضحة حدثت بحق العراقيين ووحدتهم وما زال الجاني والمعرض والفاعل الحقيقي فيها غير واضح لدى الكثيرين وهو ما نعمل على كشفه؛ لتبرئة الشعب العراقي من تلك الجريمة، ولإلقاء (بعض الضوء) على المجرم الحقيقي سنبحث عن (جذور الجريمة) هذه لنكشف دوافع مرتكبيها واستحضار (صحيفة أعمال) المجرمين المتوحشين وسوابقهم الإجرامية التي تم اكتشافها لحد الآن ونحن على يقين مطلق أن ما خفي كان أعظم!.

الجريمة

بعد احتلال العراق وبفترة وجيزة ومنذ أواسط عام ٢٠٠٤م بدأ الشعب العراقي يرى ويسمع عن ظهور جثث مجهولة الهوية قسم كبير منها تعرض إلى تعذيب مريع قبل القتل، وقسم آخر ممزقة الأوصال، وأخرى بلا رأس، ثم تبعتها اغتيالات قسم منها ذات طابع سياسي وقسم آخر غير معروف الدوافع!، وبدأت تتسع دائرة القتل الغامض والجريمة المنظمة لتتحول مناطق

معينة إلى مناطق موت (تعجز أمريكا بكل إمكانياتها العسكرية أن توفر الأمن في مناطق صغيرة جداً بصفتها دولة احتلال) ثم بدأت بالتشكل والوضوح تشكيلات و فرق موت ترتكب جرائمها على أسس طائفية وبطريقة واحدة تقريباً (رافقها ومنذ البداية خطاب طائفي تحريضي واضح المعالم والخطوط وعملية سياسية بنيت على أسس طائفية وعرقية وبدأت إعادة تشكيل الدولة وبالخصوص الجيش والقوى الأمنية على نفس الأسس الطائفية و العرقية) ثم وبعد تفجير المرقدين اندلعت أعمال عنف أشبه ما تكون بالحرب الطائفية، تم قتل الكثير من الأبرياء فيها، واستغلت تلك الأحداث سياسياً وأمنياً وحكومياً وفي الوقت الذي كان يقتل الناس في الشوارع من مختلف الطوائف والأعراق كان بعض السياسيين يرسخون وجودهم السياسي ومصالح أحزابهم الضيقة ويمدون تغلغلهم المريب في أجهزة الدولة، وكذلك استغلت إيران تلك الظروف بكل بشاعة ولكن بحنكة عالية وحذر كبير.

وحدثت الجريمة الكبرى التي هزت أركان المجتمع العراقي وقسمته عرقياً وطائفياً وجغرافياً ولم تقف الحكومة أمام هذه الجريمة إن لم تكن ساهمت مع المجرمين في صناعتها وتعميق أثارها وكذلك فعلت إيران؛ فكانت النتيجة (قتل على الهوية والاسم والمجازر الجماعية والقتل الطائفي والقتل العشوائي والاعتقالات السياسية والقتل بالتعذيب الوحشي السادي وتقطيع الأوصال وتنقيب الأجسام وقتل الأطفال وصغار السن والنساء والشيوخ والعلماء والأطباء واستسهال التعذيب والاعتصاف والقتل الاستعراضي وإطلاق الكلاب المفترسة على البشر وتأجيج الصراع والتمييز العرقي والطائفي ومن ثم الحزبي وتهديد البنية الاجتماعية وثوابتها بالانهيار!، والتغريب والاجتثاث في الداخل والتهجير والغربة في الخارج والداخل والعزل الطائفي المناطقي والعزل الكونكريتي ومن ثم انهيار البنية الاجتماعية

والأمن والسلام الاجتماعيين)، وأصبح الضابط الوحيد المعول عليه لتحقيق السلام الاجتماعي أجهزة أمن متخلفة ومخرقة وغير مهنية، وقسم منها موغل في الإجرام والقتل والسرقة إلى حد بعيد، وأصبح القتل والموت تابعاً عادياً في حياة المواطن ومتوقفاً في كل لحظة ومن أكثر من جهة، وكانت القوات الأمريكية على رأس فرق الموت المنتشرة في تفاصيل حياة المواطن، لذا فهم يبتعدون عنهم وهم خائفون أن يتم قتلهم بلا أي مبرر معقول!.

وتبعاً لتقافة الموت في العراق الجديد أدخلت مصطلحات غريبة جداً على سمع المواطن العراقي وترسخت شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مصطلحات يومية يعيشها المواطن: كـ (فرق الموت؛ الفرق القذرة؛ العمليات القذرة؛ الميليشيات؛ المفخخات؛ الدريل (المنقباب الكهربائي)؛ اللاصقات (القنابل اللاصقة)؛ شركات الحماية؛ الإرهابيين؛ القاعدة؛ التنظيم؛ المحاكم الشرعية؛ الطائفية؛ منطقة سنية؛ منطقة شيعية؛ منطقة كردية؛ جثث مجهولة الهوية؛ مكتب الإمام؛ المكاتب الشرعية؛ المدامات؛ فرقة التعذيب؛ فرقة العقرب؛ صولة الفرسان؛... الخ). ورافقت ذلك مصطلحات سياسية لها علاقة وثيقة جداً بتلك المصطلحات كـ (الطائفية السياسية؛ المحاصصة الحزبية والطائفية والعرقية؛ الاستحقاقات الانتخابية؛ التكتل الشيعي؛ التكتل السني؛ التكتل الكردي؛... الخ) وكان أغلب السياسيون يرددون تلك المصطلحات كالبيغاوات دون حتى التفكير بمدى خطورتها على الكيان الاجتماعي أو بمراجعتها والتدقيق في معانيها وبسبب جهل الكثيرون منهم بالسياسة فقد تلفقوها كمسلمات لا نقاش فيها!.

المستفيدون

هناك الكثير من أطراف الصراع في العراق كانت لها مصلحة في هذه الجريمة الكبيرة، وهذه الأطراف المستفيدة هي: الأمريكيون الذين استفادوا مما جرى واستطاعوا تقسيم العراقيين وتفرقتهم، كي تسهل السيطرة عليهم كما استطاعوا بفعل هذه السياسة تحييد قسم كبير من المجتمع العراقي في قضية الاحتلال التي يصعب أن يقف الإنسان محايداً فيها، كما استفادت الأحزاب التي استثمرت مظلة الاحتلال وأسقطت النظام التي عجزت عن إسقاطه بغير التدخل الأمريكي المباشر، واستلمت السلطة على طبق من ذهب وبرعاية أمريكية خاصة.

وبدلاً من أن تسعى تلك الأحزاب في مشروع وطني جامع وتأسس (سلطة) وطنية جامعة تحقق الأمن والاستقلال والوحدة والقوة للبلد وتفعيل الهوية الوطنية والانتماء الوطني انخرطت طوعية في المشروع السياسي الأميركي، ولم تكن تملك غير ذلك فذهبت في طائفتها وعرقيتها أبعد مما أراد المحتلون!! وأسقط الطائفون المشروع الإسلامي وأسقط الوطنيون المشروع القومي!.

واستفادت كذلك بعض الدول الإقليمية وعلى رأسها إيران من إضعاف العراق (العدو التقليدي) وتقسيمه طائفيًا وعرقياً وهو أسرع طريق لتقسيمه جغرافياً. كما استفادت إسرائيل من إضعاف العراق وهي جادة في سعيها إلى تقسيمه؛ حيث أن من صميم مصلحتها أن تدخل المنطقة العربية والخليج على وجه التحديد في صراعات إقليمية وطائفية.

ومن المستفيدين بعد ذلك شركات الحماية والمرتزقة التي استطاعت الحصول على عقود الحماية بفضل الانهيار الأمني وشيوع ثقافة القتل

والاستئصال والاعتقالات؛ حيث كانت عقود شركة بلاك ووتر وحدها داخل العراق ما يقارب ٦٠٠ مليون دولار عام ٢٠٠٦م، بعدما كان رأس مالها دون المليون قبل ٢٠٠١/١١/٩م.

ولا يخفى أن كثيراً من القتل والمجرمين والعصابات وفرق الموت والمأجورين والمرضى الطائفيين والمتعصبين داخل العراق؛ قد انتفعوا من شيوع هذه الثقافة وانتشار هذه الجرائم التي كانوا من المساهمين فيها.

أما الخاسر الأول والأكبر من كل ما تقدم وكل ما جرى وفي (هذه الجريمة بالذات من جرائم الاحتلال)؛ فقد كان الشعب العراقي، الذي دفع ثمناً غالياً بسبب هذه الجرائم من دمه وأرواحه ومستقبله؛ وتربص الموت بالشعب العراقي (بكل طوائفه وأعراقه وأديانه) في الطرق والأسواق والمساجد والكنائس والمدارس وفي كل زاوية من زوايا الحياة.

المخطط

بعد أن تبين لنا حدود الجريمة والضحية وحددنا الدوافع والمستفيدين منها فمن هو المخطط لها ؟ وهل للجاني سوابق وهل للجريمة من جذور ؟. مما لاشك فيه أن الإدارة الأمريكية التي احتلت العراق عام ٢٠٠٣م ودمرت كل بنيته التحتية وسيطرت عليه عسكرياً كانت تواجه هلعاً شديداً من احتمال وقوف الشعب العراقي أمام مخططاتها التي احتلت العراق من أجلها؛ كما إن (شبح ثورة العشرين) كان ماثلاً أمام تلك الإدارة فكان من أهم (أهدافها) تحجيم دور الشعب العراقي وتحديد حركته الوطنية وإلهائه في معارك وحروب داخلية طائفية وعرقية وصراعات داخلية ومصالحية وسياسية وحزبية وتقسيمه وتجزئته وتفتيته وطمس هويته الوطنية وكل عوامل وحدته

ومصالحه الوطنية وخلق تقاثل اجتماعي غير مبرر ومسح تاريخه الوطني، وكانت للإدارة الأمريكية (وسائلها وأدواتها المتعددة) السرية في تحقيق هذا الهدف.

وقد يبدو _الآن_ أن من المستحيل تماماً معرفة كل أدوات الجريمة المنظمة في العراق التي استخدمتها أمريكا ولكن هناك جهازان أمريكيان خالصان معروفان (مكشوفان) في العراق وهما:

❖ قيادة العمليات المشتركة الخاصة

أنشأ هذه القيادة الرئيس الأمريكي السابق، جورج بوش، بإشراف نائبه ديك تشيني، لملاحقة وتصفية أهداف ذات قيمة عالية في عشرات الدول (منها العراق)، دون علم أو إشراف الكونجرس، والتي كشف عنها الصحفي الأمريكي المعروف (سيمور هيرش) في مقابلة تلفزيونية مع شبكة (سى أن أن) الإخبارية الأمريكية وبحسب هيرش، خولت إدارة بوش الوحدة السرية، وتدعى (قيادة العمليات المشتركة الخاصة) تحت إشراف تشيني المباشر — تفويضاً مباشراً لتصفية أفراد استناداً إلى معلومات أستخباراتية أمريكية، وأضاف: (الفكرة هي أن تتحرك الفرقة دون قيود تقديم تقارير للكونجرس، الذي علم القليل عن هذه المجموعة، ودون جلسات استماع، حتى السرية منها، وهي تتجول بتفويض من الرئيس للتوجه لأي دولة دون إعلام رئيس جهاز الاستخبارات الأمريكية أو السفير الأمريكي فيها).

وكان هذا الصحفي قد كشف عن هذه (الوحدة) لأول مرة خلال كلمة له أمام جامعة مينسوتا في العاشر من شهر يوليو من هذه السنة ٢٠٠٩م، مستخدماً تعبير (جناح اغتالات).

وأضاف: إدارة بوش فوضت قوات في مواقع الحدث استناداً إلى معلومات إستخباراتية اعتقدوا أنها سليمة، ويمكنني القول إن هذا لم يكن واقع

الحال دائماً.. فبعضها اتخذ بعداً دموياً للغاية، ولم يكشف (سيمور هيرش) عن المصادر التي استقى منها معلوماته^(١).

وفى المقابل، نفى مساعد تشيني (جون هانا) في حديث لشبكة (سي أن أن) تلك الاتهامات قائلاً: ليست حقيقة.. وأعتقد أن هيرش أبعد قليلاً عن المزاعم الأصلية التي أدلى بها مسبقاً وأشار فيها إلى المجموعة كـ (جناح اغتيالات).

إلا أن هانا زاد الطين بلة معترفاً اعترافاً رسمياً بأن (للجيش الأمريكي في مناطق حرب كالعراق وأفغانستان وباكستان تفويضاً "بملاحقة واعتقال وقتل الأعداء" ويشمل ذلك قياداتهم).

وقالت (فرانيس تاونسند) مساعدة تشيني مدافعة عنه: "إن لائحة الأهداف الإرهابية المجازة -من يمكن اغتيالهم دون محاكمة- لا تتعدى المائة" دون أن تذكر من وضع تلك القائمة؟ وكيف؟ وهل إن تلك القائمة قابلة للزيادة كما هي قابلة النقصان طبعاً.

وسبق ونشرت تقارير في الصحافة الأمريكية والبريطانية منذ عام ٢٠٠٣م كشفت عن استخدام القوات الأمريكية تكتيكات الجيش الإسرائيلي ومستشارين إسرائيليين بغرض التدريب والاستشارات لتشكيل فرقة اغتيالات في العراق، ونشرت صحيفة "الجارديان" في عام ٢٠٠٣م أن إسرائيل أرسلت عناصر حرب عصابات مدنية إلى "حصن براغ" في ولاية كارولينا الشمالية -مقر القوات الخاصة الأمريكية- من أجل تدريب قوات خاصة في البحرية الأمريكية على القيام بعمليات نوعية لاستهداف قيادات في العراق.

(١) ٣١ مارس - آذار ٢٠٠٩م الوكالات، صحيفة الشروق (أبريل - نيسان ٢٠٠٩م، وموقع إسلام أون لاين في نفس التاريخ.

وذكرت الصحيفة أن الجيش الأمريكي أراد الاستفادة من خبرة إسرائيل في تشكيل ما يعرف بـ "وحدة المستعربين" ليعملوا وسط الناس بشكل عادي في زى عربي محلي مع تحدثهم اللغة العربية بطلاقة.

وكان هيرش قد أشار في تقرير سابق له عام ٢٠٠٣م بعنوان (تحريك وإزالة الأهداف) في مجلة (نيويورك) إلى إستراتيجية "فرق الاغتيالات" الأمريكية والتي في الغالب، نسخة مطابقة لحملات الاغتيالات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، وقال: إن الإستراتيجية وضعت في عهد وزير الدفاع الأمريكي الأسبق دونالد رامسفيلد ودفع بنائيه لشئون المخابرات ستيفن كومبون ليصبح مشاركا بعمق في تطوير أسلوب جديد للقوات الخاصة (فرق الاغتيالات) حسبما ذكر هيرش^(١).

أما الأداة الثانية في يد الإدارة الأمريكية فقد كانت أقل سرية وأكثر مرونة ولكنها لازالت غامضة أيضاً تلك هي:

❖ الشركات الأمنية

حيث تقدم هذه الشركات خدمات أمنية وعسكرية خاصة أي أنها شركات مرتزقة، وإن كانت (شركة بلاك ووتر) تقف في مقدمة تلك الشركات العاملة في العراق وأكبرها فالى جانب بلاك ووتر تعمل حالياً عشرات الشركات الأمنية الخاصة غالبيتها غربية في العراق، وتتعرض بانتظام لهجمات تبقى عملياً طي الكتمان، وأبرز هذه الشركات آرمر غروب ودينكوريس وأيجيس ديفنس سرفيسز، وهي تضم في صفوفها عشرات آلاف المرتزقة لتشكل ثاني

(١) هذه المعلومات التي ألقى بها سيمور هيرش منقولة عن صحيفة الشروق في عددها الصادر بتاريخ الأول من نيسان ٢٠٠٩م، وموقع (إسلام أون لاين) نقلاً عن وكالات الأنباء بتاريخ ٣١ آذار-مارس ٢٠٠٩م.

قوة أجنبية في العراق بعد الجيش الأميركي^(١). ولم تكن بلاك ووتر الوحيدة وقد لا تكون أكثرها بشاعة أو على الأقل فإن باقي الشركات لا تقل بشاعة عن (بلاك ووتر) وأغلبها لم يسلط عليه الضوء كما سلط على هذه الشركة، ومنها: (شركتان أمنتان أخريان لهما وجود بحجم صغير بالعراق، وهما "دينكوروب الدولية" و "تريبيل كانبوي" والتي تعاقدت معهما الإدارة الأمريكية لتولي المهمة الأمنية هناك، خلفاً لبلاك ووتر بعد انتهاء العقد في أوائل مايو/ أيار ٢٠٠٩م).

وسنتناول في ما تبقى من هذا البحث الجذور والامتدادات التاريخية لتلك العقلية الإجرامية السادية المفرطة في الجريمة والقتل ونتطرق إلى بعض المنطلقات النظرية والدوافع لتلك العقلية.

الجنـزور

١٠٧٠م فرسان مالطا

عام ١٠٧٠م بدأ ظهور (فرسان مالطة) كهيئة خيرية أسسها بعض التجار الإيطاليين لرعاية مرضى الحجاج المسيحيين في مستشفى قديس القدس يوحنا قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، وقد أطلق عليهم اسم (فرسان المستشفى) وتحور الاسم فيما بعد إلى (الهوسبتاليين) تمييزاً لهم عن هيئات الفرسان التي كانت موجودة في القدس آنذاك مثل (فرسان المعبد) و (الفرسان التيوتون)، والمؤكد أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد.

(١) نقلاً عن وكالة الأخبار الإسلامية ٢٣ آيار - مايو ٢٠٠٧م.

في ١٥ فبراير ١١١٣م اعترف البابا باسكال الثاني بتنظيم (الهوسبتاليين) رسمياً ودخلوا تحت لواء النظام الديرى البندكتى المعروف في غرب أوروبا، وصاروا يتبعون بابا روما وهكذا أصبح نظامهم يلقي مساندة من جهتين: تجار أُمالفي وحكام البروفانس في فرنسا.

وعندما قامت الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٧م وتم الاستيلاء على القدس تحولوا إلى نظام فرسان عسكريين وأعيد تشكيل التنظيم على أساس عسكري مسلح باركه البابا أنوست الثاني ١١٣٠م، حتى قيل إن الفضل في بقاء مدينة القدس في يد الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى فرسان الهوسبتاليين بجانب فرسان المعبد، وقد كان تشكيل تنظيم الهوسبتاليين ينقسم إلى ثلاث فئات:

- فرسان العدل الذين هم في الأصل نبلاء أصبحوا فرساناً.
- القساوسة الذين يقومون بتلبية الاحتياجات الروحية للتنظيم.
- إخوان الخدمة وهم الذين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم.

فضلاً عن الأعضاء الشرفيين ويسمون الجوادين الذين يساهمون بتقديم الأموال والأموال للتنظيم وبفضل عوائد هذه الأملاك وكذلك الهبات والإعانات حيث كان (عُشر) دخل كنائس بيت المقدس مخصصاً لمساعدة فرسان القديس يوحنا؛ ومن هنا أخذ نفوذ الفرسان ينمو ويتطور حتى أصبحوا أشبه بكنيسة داخل الكنيسة.

بعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين عام ١١٨٧م على يد صلاح الدين الأيوبي هرب الفرسان الصليبيون إلى البلاد الأوروبية. وانتهى المقام بالهوسبتاليين في قبرص واستمروا في مناوشة المسلمين عن طريق الرحلات البحرية ومارسوا أعمال القرصنة ضد سفن المسلمين واستطاعوا فيما بعد احتلال رودس وأخذها من العرب المسلمين عام ١٣٠٨م - ١٣١٠م ليصبح

اسم نظام الفرسان الجديد يسمى النظام السيادي لرودرس أو (النظام السامي لفرسان رودس).

وفى (رودس) أنشأ تنظيم الهوسبتاليين مراكزه الرئيسية وازدادت قوته ونفوذه خاصة بعد أن تم حل تنظيم فرسان المعبد وآلت بعض ثرواته للهوسبتاليين؛ ولأن جزيرة رودس كانت بمثابة نقطة إستراتيجية هامة، فقد عمد الأتراك المسلمون بدورهم للاستيلاء عليها خصوصاً مع تزايد قرصنة الصليبيين لسفنهم وتمت استعادتها عام ١٥٢٢م، فهجّر الهوسبتاليين الجزيرة في أول يناير ١٥٢٣م وتوزعوا بين عدة مدن منها سيفيل في إسبانيا وكاندي سيلان وروما في إيطاليا إلى أن منح الملك شارك كنت الهوسبتاليين السيادة على (جزيرة مالطة) في ٢٤ مارس ١٥٣٠م، وكانت لهم السيادة كذلك على عدة جزر مثل دى جوزوا وكومين بجانب مدينة طرابلس التي كانت تتبع عرش صقلية.. وقد صدق البابا كليمنت السادس على ذلك في ٢٥ إبريل ١٥٣٠م ومن ثم أصبح النظام يمتلك مقراً وأقاليم جديدة أدت إلى تغيير اسمه في ٢٦ أكتوبر ١٥٣٠م إلى (النظام السيادي لفرسان مالطة) ومنذ ذلك الوقت أصبحت مالطة بمثابة وطنهم الثالث، ومنها استمدوا أسمهم (فرسان مالطة).

وقد تميز هذا النظام منذ إقامته في مالطة بعوائه المستمر للمسلمين وقرصنته لسفنهم حتى كون منها ثروة ولاسيما في الحصار التاريخي ١٥٦٥م الذي انتهى بمذبحة كبيرة للأتراك، كما توسع النظام كثيراً حتى إن الملك لويس الرابع عشر تنازل له في ١٦٥٢م عن مجموعة من الجزر في الأنتيل منها: سان كيرستوف، سان بارتيللي، وسان كوزوا، وصدق على ذلك في ١٦٥٣م إلا أن صعوبة المواصلات مع هذه الجزر اضطر النظام للتنازل عنها لشركة فرنسية ١٦٥٥م وظل النظام في مالطة تحت حماية إمبراطور الدولة الرومانية والكرسي الرسولي وفرنسا وإسبانيا وانتشر سفراؤه في بعض

الدول وهو ما كان يعنى اعترافاً بالسيادة الشخصية للسيد الكبير للنظام أو رئيس الفرسان.

وبقيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩م وغزوها إيطاليا فقد الفرسان الصليبيون ممتلكاتهم وامتيازاتهم في فرنسا وإيطاليا وانتهى بهم الأمر بفقد مقرهم في جزيرة مالطة نفسها وطردهم منها على يد نابليون أثناء حملته على مصر عام ١٧٩٨م، وانقطع اتصال الفرسان نهائياً بمالطة _ دولة مالطة الحالية ليست هي فرسان مالطة-.

وبحلول ١٨٠٥م أصبح الفرسان بلا رئيس حاكم، ومنذ ١٨٣٤م ونظام الفرسان يمارس شؤونه من روما بصفة رسمية باسم العمل الخيري وفي نطاق المستشفيات عملهم الأول وقت إنشائهم حتى أصبح نظامهم أشبه بهيئة خيرية لا تزال تسيطر عليها الروح الصليبية، وأخذت في التوسع حتى فتحت جمعية لها في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٢٦م

ويقع المقر الرئيس للمنظمة حالياً في العاصمة الإيطالية روما، ويحمل اسم مقر مالطة، ويرأس الدولة (البرنس أندرو برتي) الذي أُنتخب عام ١٩٨٨ ويعاونه أربعة من كبار المسؤولين وقرابة عشرين من المسؤولين الآخرين.

أما في فرنسا فقد استمرت محاولات إحياء النظام، وإن كان إنشاء التنظيم لم يكن له اتصال عضوي بالتنظيم القديم الذي استقر نهائياً في الفاتيكان، كما انتقل بعض أفراد هذا النظام إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعاشوا فترات الحروب الأهلية، وقد أصبح رمز نظام القديس يوحنا هو صليب أبيض معلق بحبل أسود ولذلك أصبح (فرسان الهوسبتالية) يعرفون (بفرسان الصليب الأبيض)، وصادف وصول هؤلاء فترة الحروب الأهلية هناك وشهدت هذه الفترة ظهور (منظمة الكوكلو كس كلان)، الإرهابية العنصرية، التي كانت

تطالب في ذلك الحين بالدفاع عن المذهب الكاثوليكي وعن سيادة الرجل الأبيض ومنع مساواة المواطنين السود مع البيض في الحقوق، وتوثقت العلاقات بين (فرسان مالطة) الفارين إلى أمريكا، وبين (الكوكلوكس كلان) خصوصاً وأن الطرفين يتفقان في المذهب الكاثوليكي.

وقد تجسدت هذه العلاقات وعبر عنها تنظيم (فرسان الكاميليا) وهو (تنظيم سرى نشأ داخل الكوكلوكس كلان)، تبنى نفس مبادئها، وكان تنظيمه الهيكلي يشبه تنظيم فرسان مالطة، فهناك المارد الأعظم على غرار السيد الأعظم لدى الفرسان ويعاونه أربعة من فرسان الصقر كما أن طقوس احتفالات فرسان الكاميليا والكوكلوكس كلان تشبه تماماً احتفالات فرسان مالطة إذ يلبسون ملابس بيضاء عليها صليب أحمر، ويضعون على رؤوسهم أقنعة لا يظهر منها سوى العينين والأنف والفم، ويشعلون المشاعل النارية، ويزيد أعضاء الكوكلوكس كلان (الجماجم) التي يحملونها وهي تتبعث منها نيران حمراء بشكل مرعب!

ومن المهم أن نشير إلى أن كلا الحركتين الفرسان، وكوكلوكس كانتا تركزان على العودة لأصول الدين المسيحي الكاثوليكي حتى إنه ل يبدو أن مطاردتهم لغير العنصر الأبيض من السود وكذلك الآسيويين في الداخل كان اضطهاداً دينياً قبل أن يكون عنصرياً على اعتبار أن أصل هؤلاء السود والآسيويين الذين تم جلبهم إلى أمريكا عن طريق تجارة الرقيق يعود إلى أفريقيا وآسيا حيث غالبية السكان يدينون بالدين الإسلامي قبل حملات التبشير فيما بعد، فضلاً عن أن هؤلاء السود والآسيويين جاءوا من المناطق التي سبق أن طُرد منها هؤلاء المهووسون دينياً وعنصرياً بعد احتلال طويل لها، وهو سبب كافٍ لاضطهادهم وتفريغ شحنات الغضب فيهم.

وتختلف دولة فرسان مالطة، من حيث هيكلها وتنظيمها عن جمهورية مالطة الجزيرة المعروفة في البحر المتوسط، وكلاهما تحظى بالتمثيل الدبلوماسي والاعتراف الرسمي في العديد من دول العالم. والمثير في سفارة هذه الدولة أنها لا تحمل رايات كسائر السفارات، وتقتصر أنشطتها على الأعمال الخيرية والتبرعات والهبات، إلا أن مقرها الرئيس في روما يتمتع بامتيازات، فمواطنوها لهم محاكم خاصة وجوازات سفر ويقدر عددهم بنحو ١٠ آلاف فارس، في حين يصل عدد المتطوعين منهم إلى نصف مليون، وأن خطر الفرسان الحالي ليس أقل مما كان في الماضي .

وأشارت تقارير إلى أن منظمات الإغاثة التبشيرية في مناطق ملتهبة كجنوب السودان لا تزال تشكل عنصر الدعم للمتمردين على الحكومات العربية، وأنه كان لهم دور في فصل تيمور عن إندونيسيا، فدورهم التبشيري لا ينفصل عن الدور الخيري انطلاقاً من أن دول عظمى مثل أمريكا تسهل لهم المرور من دولة إلى أخرى بحجة أن نشاطهم لا يتعدى كونهم هيئات خيرية.

وعقدت (منظمات الفرسان الصليبية) اجتماعاً في جزيرة مالطة في أوائل ديسمبر ١٩٩٠م هو الأول من نوعه منذ أخرجهم نابليون بونابرت منها قبل حوالي قرنين من الزمان، وكان الاجتماع مثيراً للغاية كما قال روجر جيورجو أحد أولئك الفرسان الذين اجتمعوا في الجزيرة. وبلغ عدد الحاضرين حوالي خمسمائة معظمهم من القساوسة ينتمون إلى اثنين وعشرين دولة .

ولوحظ أن الفرسان الصليبيين المجتمعين اعتبروا هذا اللقاء خطوة باتجاه إحياء وإنعاش تلك المنظمة الكاثوليكية ذات الجذور الصليبية، وقد روت صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية تفاصيل هذا الاجتماع في حينه قائلة: إن

الفرسان توافدوا على الاجتماع، وقد ارتدى كل واحد منهم ملابس كهنوتية سوداء، يزينها صليب أبيض مزدوج الأطراف، ورأس الجلسات الأستاذ الأعظم الذي يقود المنظمة، وهو اسكتلندي سبق أن عمل في حقل التدريس، اسمه اندروبيرتي ٦٠ سنة وهو أول بريطاني يرأس المنظمة منذ عام ١٢٧٧، كما أنه الرئيس الثامن والسبعون للمنظمة منذ تأسيسها، ويحمل رتبة كاردينال، ويرأس مجلساً يتألف من ستة وعشرين فارساً يساعدونه على تسيير شئون المنظمة وتدعمه أمريكا بقوة!).

ويقدر عدد غير المتطوعين في الولايات المتحدة وحدها ألف وخمسمائة فارس، وقد انضم إلى عضويتها عدد من أصحاب الملايين خصوصاً أن نشاطهم الحالي يتخذ غطاءً خيرياً ويظهر الاختصاص بالمستشفيات مما يغري بالتبرع لهم.

وهم مهتمون بإقامة علاقات دبلوماسية مع مختلف الدول حيث يقول رئيسهم بيرتي: إن الدبلوماسية بحد ذاتها ليست من أهدافنا ولكن إقامة علاقات مع الدول تساعد في تسهيل أعمالنا والحصول على الأدوية والمواد التموينية ونقلها إلى المناطق المنكوبة، ولا ينفي تاريخهم الصليبي إذ يقول: نحن لا نخفى شيئاً، فنحن منظمة دينية قديمة ولنا تقاليدنا وشعائرننا لذلك فالجانب البروتوكولي والدبلوماسي في غاية الأهمية بالنسبة لنا، ونحن نبذل جهدنا لتقديم العون للمحتاجين والقسم الأكبر منا رجال دين وقساوسة.

واستغل فرسان مالطة نشاطهم الخيري، والسماح لهم بمزاولة عملهم من دول عظمى مثل أمريكا كجواز مرور للدول الأخرى^(١).

(١) منتدى الإمارات الاقتصادي بتاريخ ٢٨ شباط - فبراير ٢٠٠٩م.

وفي ١١ يناير ٢٠٠٧م نشرت وكالة (Innovative Media Inc) للأخبار على لسان (أندرو برتي) المسؤول الأعلى في فرسان مالطة في معرض حديثه إلى ممثلي ٩٦ دولة معتمدة لدى هيئة فرسان مالطة بمناسبة اللقاء السنوي المعتاد الذي المنعقد هذه السنة في روما في تلة الأفنتينو، فقال: يجب أن يتمتع جميع حجاج العالم بحق الدخول إلى أورشليم، معلناً أنه يود أن يقوم هو شخصياً بزيارة إلى الأراضي المقدسة في أكتوبر المقبل.

ودعونا نتأمل بعض جرائم الكوكلوس كلان التي حدثت على أعتاب القرن الحادي والعشرين وفي دولة تدعي أنها تقود العالم بحريها ضد الإرهاب ترى بماذا تذكرنا؛ ففي سبق صحفي انفردت به صحيفة "الاندبندنت" البريطانية تمكن المصور (انثوني كارين) من التقاط صور نادرة لاحتفال عصابات الكوكلوكس كلان العنصرية البيضاء، التي ارتبط اسمها بجرائم (قتل وإحراق وحشية) ضد الأميركيين السود، وذلك في مدينة سكوتسبور روبرو بولاية الباما.

وقال كارين الذي حضر الاحتفال بمعرفة الجماعة الإجرامية إن "الصور بطقوسها ومضمونها المفزع رسالة إلى الرئيس الأميركي باراك أوباما والأميركيين الأفارقة بأن حلمهم الأسود لن يتم تحقيقه".

وتأتي تلك الأنباء عن عودة العصابات العنصرية للأضواء، بعد فترة وجيزة مما تردد عن اختطافها للسيدة "كينيث لينش"، البالغة من العمر ٣٤ عاماً، والمقيمة في اوكلاهاما، والفرار بها إلى غابة في شمال نيو اورلين، ثم قتلها على يد مجموعة فرعية في العصابة اسمها "أبناء ديكس"، وقد اعترف زعيم المجموعة (تشيك فوستر) الذي ينتظر محاكمة في جريمة أخرى الآن بتفاصيل الحادث الأول، حيث تمت ملاحقة لينش والجري وراءها بالمشاعل ثم انتهى الأمر بإطلاق النار عليها.

وننقل من الويكيبيديا: "بينما تقوم أغلبية مجموعات الكوكلوكس كلان بهجماتها ضد أهدافها مرتدية جلابيب بيضاء وقبعات مخروطية الشكل تغطي الرأس كله ولا تظهر منه سوى العينين لإخفاء هويتهم مع إضافة عامل الترويع خلال هجماتهم الليلية على أهدافهم التي غالبا ما تكون قرى صغيرة يسهل على السكان فيها التعرف على بعضهم البعض، وهنا يجب الذكر أن عمليات التصفية التي قامت تجاه رؤساء الأحزاب السود لم تقتصر عليهم وحدهم بل (شملت أَسْرَهُم) بالإضافة إلى رؤساء الكنائس والجاليات، لتعدد أنشطة الضحايا، فقد كان المقنعون يقومون بإطلاق الأعيرة النارية تجاه بيوت ضحاياهم (وإحراقها، أحيانا بمن فيها) واستطاعوا إزاحة المزارعين الناجين من مزارعهم (تهجيرهم).

بينما استمرت الجماعة في القضاء على ضحاياها تحت غطاء مدني، ومتخفية بدون أن تعلن عن انتمائها للكوكلوكس كلان، (استمرت الدولة في التغاضي) عن ممارساتهم ولم يتم تجريم عضواً واحداً بخلفية انتمائه للتنظيم، بل لم يكن بإمكان الأمريكيان الأفارقة حتى التوجه للمحاكم للشكوى، أما في الحالات النادرة التي وصلت إلى القضاء، فقد كان من الصعب نطق الحكم بتجريم الفاعل لخوف المحكمة من إنتقام الكلان.

هذا ما كان يحدث في أمريكا وهذا ما حدث في العراق! صورة تتكرر كل يوم حتى أصبحت طبيعية ولا تثير أي انتباه رغم فظاعتها! ولم يعد لمجموعة الكلان الأولى أي سبب للوجود فقد تم (إقصاء) الأفارقة _ الأمريكيان تدريجياً من الحياة السياسية على الرغم من إنهم تمكنوا من ينالوا نظرياً حق الانتخاب بالتعديل ١٤ أو ١٥ من الدستور.

ففي ١٥ أيلول ١٩٦٣م انفجرت قنبلة أثناء القداس المقام في كنيسة معمدانية عائدة للسود وتستقبل الاجتماعات السياسية للزعماء السود بشكل

منتظم وذلك في برمنجهام في الاباما. وأدى الانفجار إلى قتل أربع صبيات وجرح عشرين شخص ولم تدن السلطات المحلية المسؤولين عن الحادث إلا قريباً جداً وذلك في ١٩٧٧م و ٢٠٠١م و ٢٠٠٢م.

أما الحادث الثاني فقد وقع في ٢١ حزيران ١٩٦٤م وقتل فيه ثلاثة شباب في سيارتهم وقد تم اتهام سبعة أعضاء في جماعة الكلان وذلك في نهاية القضية عام ١٩٦٧م.

المهم أن جرائم كوكلس كلان كثيرة جداً ومعروفة للقاصي والداني ولكن المهم معرفته أن فرسان مالطا استطاعوا قيادة تلك المنظمة واحتوائها ولكن من يصدق أن لتلك المنظمات وتحديدًا لفرسان مالطا وجود وجنود في العراق!

ونقلًا عن تعريف الويكيبيدا لشركة بلاك ووتر: "بلاك ووتر العالمية التي كانت سابقا (بلاك ووتر يو أس أي)، هي شركة تقدم خدمات أمنية وعسكرية أي أنها شركة مرتزقة، وتعتبر واحدة من أبرز الشركات العسكرية الخاصة في الولايات المتحدة وهي مرتبطة (بفرسان مالطا).

ويقول (جيرمي سكاويل) في كتابه "بلاك ووتر صعود أقوى جيوش المرتزقة في العالم: هناك مخاوف خاصة من دور "بلاك ووتر" في حرب وصفها الرئيس بوش "بالحرب الصليبية" وهذه المخاوف ناشئة من كون جميع المدراء الكبار في الشركة من المرتبطين بأجندة التعصب المسيحي، ويقدم صاحب الشركة (اريك برنس) وأسرته تمويلًا سخياً لحرب اليمينيين الدينية ضد العلمانية ومن أجل تثبيت دور المسيحية في المجالات العامة، بل أن عددا من مدراء "بلاك ووتر" يتبحون بعضويتهم في (مسلك مالطا العسكري المستقل) وهو عبارة عن ميليشيا مسيحية تشكلت في القرن الحادي عشر الميلادي قبل الحرب الصليبية الأولى وكانت رسالتها الدفاع عن الأراضي

التي أخذها الصليبيون من المسلمين، ويتبجح المسلك اليوم بأنه مطبق مستقل للقانون الدولي، له دستوره الخاص، ويصدر جوازات سفر خاصة به، وطوابع، ويقوم مؤسساته المستقلة "كما يرتبط" بعلاقات دبلوماسية مع ٩٤ دولة، إن الاستعانة بمثل هؤلاء الصليبيين الجدد في تنفيذ العمليات العسكرية الأمريكية في الدول السلمية والمجتمعات العلمانية يعزز المخاوف الكبيرة التي يحملها البعض في العالم العربي وغيرهم من معارضي حروب الإدارة الأمريكية.

ومن خلال تداعيات القضية الرسمية التي رفعت في بتاريخ ١١ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٧م في إحدى محاكم ولاية فرجينيا الأمريكية ضد شركة بلاك ووتر بخصوص حادثة ساحة النسر ببغداد نيابة عن الضحايا العراقيين، ومن واقع شهادة الشاهد الثاني، وهي الشهادة رقم ٨ في القضية رقم ٦١٥ - CV-١٠٠/٠٩ إلى تسلسل ١٨/١٧/١٥ حتى ٤٥ وفي شأن (إيريك برنس) وشركاته ومن خلال عمل الشاهد لمدة أربع سنوات معهم، أعلن انه يقيم الدعوى عليهم مع طلب إخفاء شخصيته، لتلقيه تهديدات من إدارة شركات برنس بالقتل والتصفية، وفي تلك الشهادة التي وقع عليها الشاهد بعد إقراره بأنه لا يقول سوى الحقيقة ويعلم عقوبات الكذب، ذكر أن (إيريك برنس) يمتلك عدة شركات تدار كشركة واحدة وكلها تعمل بإمرته وبإدارة جاري جاكسون، وان (برنس) أنشأ عدة شركات ليخفي بواسطتها جرائمه ومخالفاته وعمليات غش وأعمالاً غير قانونية، منها نقل أموال شركة "بلاك ووتر" المتعاملة كشركة حراسة مرتزقة مع وزارة الخارجية الأمريكية وجهات فيدرالية (حكومية أخرى) في العراق وحول العالم، إضافة لأعمال غير قانونية من دون مراعاة المحاسبة، مع إعطاء بيانات وأرقام مزيفة في

حين أن (برنس) يتصرف في أموال الشركات كأنها أمواله الخاصة، وكل هذه الأفعال تمت حسب الشهادة لسببين:

الأول: أن (برنس) ينظر إلى نفسه كمقاتل صليبي مسيحي موكلة إليه "مهمة إبادة المسلمين ومحو العقيدة الإسلامية من على وجه الأرض" ولذا تعمد إرسال رجال إلى العراق يشاركونه هذه الرؤية ويؤمنون بالتفوق المسيحي، كما أن برنس كان يعلم هذا وتعهد أن "ينتهز هؤلاء الرجال كل الفرص الممكنة لقتل العراقيين" والعديد منهم كانوا "يستخدمون أسماء وألقاباً متخذة من أسماء فرسان مالطة الصليبيين"، وكانت شركات برنس "تشجع وتكافئ قاتلي العراقيين" بل كان العاملون في الشركة يتفاخرون بشكل علني بالأمر، وعلى سبيل المثال كان عادياً تحدثهم عن نيتهم النزول إلى شوارع العراق لقتل "بعض العراقيين"، كما كانوا يستخدمون أوصافاً عنصرية مثل "حاجي" و"أصحاب الخرقة على الرؤوس".

ثانياً: جشع برنس والتماسه أية فرصة لإرسال المزيد من هؤلاء الرجال ليحصل على المزيد من الأموال من الحكومة الأمريكية.

انتهى الاقتباس التي تداولته كل الوكالات الأنباء والصحف العالمية ومنها صحيفة التايمز بإنبهار شديد والذي جاء على لسان أحد المرتقة الأمريكيان العاملين في شركة بلاك ووتر.

كما أن من بين تلك الاتهامات التي قدمت لمحكمة بولاية فرجينيا قبل اسابيع قيام برنس بقتل أو اغتيال موظفين اثنين سابقين متعاونين مع المحققين الفيدراليين.

وقد وجهت هذه التهم لبرنس في شهادة خطية تحت القسم قدمها موظفان سابقان معه، أحدهما جندي سابق في قوات المارينز الأميركية، وقد رمزا

لاسميهما بـ John Doe No ١ و John Doe No ٢ وذلك (خشية التعرض للقتل إن كشفت هويتهما).

وادعيا أن برنس وموظفين آخرين كبارا في شركة بلاك ووتر أتلّفوا أشرطة فيديو ورسائل إلكترونية ووثائق تدينهم كما قاموا بإخفاء سلوكهم الإجرامي والتستر عليه عن وزارة الخارجية الأميركية.

وتأتي هذه الشهادة ضمن عريضة مقدمة إلى المحكمة من طرف محامين يمثلون ستين عراقيا يقاضون بلاك ووتر على خلفية جرائمها في العراق.

وأكثر من هذا نعود إلى نص الخبر المنقول من التايمز: "إن الشاهد الثاني John Doe No ٢) أكد في شهادته: "أن برنس تعمد نشر من يشاطرونه نفس الفكر في العراق أي من يعتقدون مثله في التفوق المسيحي، وكان يعلم بل يرغب في أن يقوم هؤلاء الرجال بعدم تقويت أي فرصة ممكنة لقتل عراقيين وكان كثير من هؤلاء الرجال يستخدمون ألقاب ورموز فرسان الهيكل، أي المحاربين الذين قاتلوا المسلمين في الحروب الصليبية".

ويقول الجندي السابق بقوات المارينز المذكور آنفاً (إن عدداً كبيراً من الحوادث التي كانت تستخدم فيها القوة المفرطة كانت تسجل في أشرطة فيديو يتم مشاهدتها عليها في نهاية اليوم قبل أن تمحى)، وتحدث أحد الشاهدين عن جرائم اغتصاب فتيات قاصرات في العراق.. وهكذا فإن هذه السادية المتوحشة هي ما يحدث في العراق في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين!.

لا أعتقد أننا بحاجة إلى أكثر من هذه الاعترافات وهذه النصوص (التي لم ينقل أي منها عن مصدر عربي أو إسلامي ونقلت بمجملها من مصادر أمريكية أو غربية) لمعرفة الأبعاد الفكرية للجريمة التي حدثت في العراق

والتي تؤكد الكثير من الأدلة على أنها حدثت أيضاً في أفغانستان وكوسوفو وفي الجزائر وفي جنوب السودان! .

هل هي حرب صليبية فعلاً؟!

وإذا تجاوزنا الكلمة الشائعة (زلة لسان) للرئيس الأمريكي بوش الابن بأن الحرب على الإرهاب هي حرب صليبية وإنها ستأخذ حيناً من الوقت. وإذا لم نستطيع توثيق ما نسب إلى الرئيس الأمريكي السابق (بوش) بأنه قاد احتلال العراق تحت الهاجس الديني وأن حرب العراق كانت مقدسة حسب رواية (البي بي سي BBC) عن المفاوضات الفلسطينية نبيل شعث خلال برنامج أذيع من على تليفزيون (البي بي سي BBC) أن بوش قال تلك التعليقات خلال لقاء في عام ٢٠٠٣م، وقال شعث خلال البرنامج: إن "الرئيس بوش قال لنا جميعاً: أنا أقود مهمة الرب، الرب قد يقول لي: جورج، اذهب وحارب هؤلاء الإرهابيين في أفغانستان، وفعلت ذلك، ثم قد يقول الرب لي: جورج، اذهب وتخلص من الطغيان في العراق... وهذا ما فعلته" وأضاف والآن مرة أخرى أشعر أن كلمات الرب تصل إلي، اذهب لتأتي للفلسطينيين بدولتهم والأمن للإسرائيليين، والسلام للشرق الأوسط، وسأفعل ذلك بالاستعانة بالرب.

وقال الرئيس الفلسطيني محمود عباس، الذي كان حاضراً ذلك الاجتماع، في برنامج (البي بي سي BBC) إن بوش قال له "لدي التزامات أخلاقية ودينية، ولذلك سأتي لكم بدولة فلسطينية^(١)".

(١) نقلاً عن شبكة "بي بي سي" بتاريخ ٧ تشرين الأول - أكتوبر ٢٠٠٥م.

لكن دعونا نتأمل مقولة أخرى له لم تكن هذه المرة (زلة لسان) أثناء حديث له عبر شاشات التلفزيون وأثناء شكره لطائفة الجنوب المعمدانية المعروفة بتعصبها الشديد ضد المسلمين على وجه الخصوص لدعمها الكبير له في الانتخابات التي فاز بها فهو يقول: "إنهم يشكلون ستة عشر مليوناً من المعمدانيين في أنحاء البلاد وعلاوة على هذا الكثير من المبشرين موجودون بعيداً عن وطننا وجميعهم يشعرون بأنهم مكلفون بنشر كلمة الرب وليعلنوا عن مملكة الرب".

مع البيان إن لتلك الطائفة المتشددة والمتعصبة نشاطاً كبيراً في العراق وسقط منهم الكثير من القتلى ولهم مؤسساتهم الكبيرة والناشطة التي تمول بملايين الدولارات ومن تلك المؤسسات مؤسسة صوت الشهداء والمعروفة بـ (The Voice Of Martyrs) وإن كان غالب عملهم سري ولكنه كان يعلم ودعم من الإدارة الأمريكية هناك وهم يجاهرون بمعتقداتهم وكرههم للإسلام ولهم بعض الشعارات الغربية ومنها (Aggressive love Gods) حب الرب العدواني أو (إلهة الحب العدوانية) كما ينقل التلفزيون الألماني عبر أحد تقاريره الذي أعده الصحفيان (جون جتس) و (فلكرشتاينهوف) حول الحرب المقدسة في العراق وخصص لنقد الحملة الصليبية على الإسلام في العراق _حسب تعبير القناة_.

ويعود (الرئيس الأمريكي جورج بوش) لينظر إلى الحرب من وجهة نظر دينية حينما يقول: "الحرية ليست هدية أمريكا للعالم أنها هدية الله"، فهو وعن طريق الحرب والدمار "ينشر هبة الله للعالم وهو المكلف بهذا من قبل الرب". ولكن ماذا عن طائفة الجنوب المعمدانية التي يشكرها الرئيس الأمريكي بوش ويمجد عملها؟.. الحقيقة إن تلك الطائفة هي جزء كبير ومهم من الداعمين الأساسيين للحزب الجمهوري وبالذات جناحه اليميني المتشدد وكانوا

يتبوعون أعلى المراكز المهمة في الكثير من الدوائر الحكومية ويعتبرون الحرب على العراق حرباً مقدسة على الإسلام -حسب ما جاء في تقرير التلفزيون الألماني- ومن هؤلاء على سبيل المثال الجنرال وليام بوكين الذي يعتبر أحد الأشخاص الذين تولع بهم طائفة الجنوب المعمدانية وهو من القادة العاملين في البنتاغون ومن المكلفين بمطاردة أسامة بن لادن -حسب التلفزيون الألماني- فهو يقول بتشنج ومرتدياً ملابسه العسكرية في أحد الاجتماعات الخاصة بالطائفة: "العدو ليس أسامة بن لادن العدو هو الديانة... إلهي أكبر من إلههم... إلهي إله حقيقي وإلههم مزيف".

وكان إيريك برنس مؤسس شركات بلاك ووتر أحد جنود هذه المعمدانية التي يفخر أتباعها بأنهم يخوضون حرباً مقدسة ضد المسلمين في العالم ولا بد أن يهزموا العراقيين ويجب أن يتحول كل العراقيين إلى المسيحية بل وكل سكان الشرق الأوسط... إنها حرب دينية حسب زعمهم هم وتنقل عن توم وايت رئيس مؤسسة صوت الشهداء: "نحن المسيحيين لا بد أن نواصل الحرب المقدسة والشهداء هم الذين يسقطون في الحروب في أنحاء العالم من أجل قضيتهم الدينية".

الشركات الأمنية الخاصة والمهام "الإنجيلية التبشيرية"

ناصر الفهداوي^(١)

تَدَّعي الشركات الأمنية أن واجبها مع الجيوش هو تقديم الخدمات والاستشارات الأمنية وتدريب الحراس الأمنيين، ولا يتعدى واجبها إلى الواجبات القتالية ومواجهة المقاتلين عسكرياً، ولكن مقتل الآلاف وجرح عشرات الآلاف من جنود الشركات الأمنية يظهر المشاركة الحقيقية كجيوش قتالية مع جيوش الاحتلال.

وتَدَّعي الولايات المتحدة الأمريكية وهي تنشئ الائتلافات والتحالفات؛ بأنها تريد أن تقدم الديمقراطية وإصلاحاتها المخملية (الشفافة) وأنها "حريصة الحرص كله" على تقديم النظام الجديد الذي يتجلى به الرب المزعوم عند جورج دبليو بوش، ومن قبله الكثير من رؤساء أمريكا، وهو المشاهد المعروف، بما لم تستح الإدارة الأمريكية من التصريح به، والبوح به وإعلانه

^(١) باحث وإعلامي عراقي.

على واجهات ماكينتها الإعلامية، وهذا ما صرح به بوش الابن بأنه مرسل من الرب لأداء مهمة، وأن الرب يكلمه ويأتيه في مناماته ويكلمه فيها، وهو من أثر عنه أنه قال: "إننا سنشنها حرباً صليبية" وكررها، وحاولت أجهزة الإعلام التستر على مثل هكذا تصريحات لأنها تستثير المسلمين، وتكون عامل جمع لصفوفهم وتوحيد لكلمتهم، وحاولت تبرير هذا التطرف العدواني العنصري على الأمة الإسلامية بأنه (زلة لسان)، وكان الرد بأنه لا يمكن لزلة لسان أن تتكرر أكثر من ثلاث مرات - ولكن يبدو حتى أن هذا التهديد والوعيد بالحرب الصليبية لم يستفز المسلمين ليجمعوا كلمتهم وتتوحد مواقفهم لتدفع الأيادي التي تذبح المسلمين وشعوب المنطقة بأسرها-، وهو الذي صرح بأنه مرسل من الرب "لتصحيح خطأ الرب بتوزيع الثروات على الأرض بأن جعلها عند من لا يستحقونها"، وقال مراراً وتكراراً بأن الرب طلب منه قتال هؤلاء المتطرفين الإرهابيين الأصوليين "الإسلاميين".

وشن حروباً على دول المنطقة لتحقيق نبوءاته وأوهامه، ورفع شعارات مكذوبة ادّعى فيها تقديم الأنظمة الديمقراطية وتوفير العيش الرغيد للمنطقة، وإذا كانت أمريكا تريد أن تقدم الديمقراطية وإصلاحاتها الإنسانية وتخليص العالم من الدكتاتورية وأنظمتها، وتريد للعالم أن يعيش بحرية وتريد منه أن يخضع لنظامها العالمي الجديد.. فهل يحتاج ذلك إلى كل هذه الدول والجيوش والأحلاف وعصابات القتل المأجورة التي جمعت من كل مواخير العالم ودور الدعارة والنوادي الليلية وعصابات المافيا ومهربي المخدرات؟ وهل تحتاج الديمقراطية إلى كل هؤلاء الإجراميين المتوحشين المرتزقة من تحالف الجيوش الذين جاؤوا مع أمريكا لاحتلال العراق؟ وهل من جاء مع أمريكا من أذئابها وأجرائها الأذعياء، هم من يقدم صورة الديمقراطية؟!.

وهل تحتاج الديمقراطية لكل هذه الأعداد من الجيوش والترسانات التسليحية والعصابات المافيوية وكل هؤلاء القتلة المأجورين من عصابات المرتزقة الذين جمعهم أمريكا من كل الزوايا المظلمة في العالم ممن سمتهم أمريكا في حربها الإنجيلية المتطرفة بأنهم (فرسان الصليب أو فرسان المعبد أو فرسان مالطا أو الأوسبيتاليين) وغيرها من الأسماء العنصرية العدوانية من جيوش الإرهاب.

بينما تصف المدونة الداخلية للمواقع (الإلكترونية) لأكثر الشركات، بأن إحدى مهام الشركات تتمثل في دعم السياسة الأمنية الوطنية والدولية التي تحمي المواطنين العزل، وتوفر بإخلاص صوتاً للجميع!.

وهذا يوضح الدوافع الدينية العقدية التي تبين اندفاع الشركات الأمنية بزخم ملفت للنظر وهي تتشكل بصورتها هذه، وتعطي طابعاً تبشيراً وتوفر الغطاء الأمني للتبشيريين مع شركات المرتزقة والجيش الأمريكي، وكذلك ترافق كالظل جميع الحركات التبشيرية في العالم، وهذا يبين المهام التبشيرية التي تقوم بها جيوش الاحتلال ويحدد مهامها بأنها حرب دينية بغطاء استهداف مقدرات ومصالح الشعوب.

وترتبط بعمق العلاقات بين رؤساء الشركات الأمنية والضباط الذين يتم اختيارهم من الإدارة الأمريكية وتحديداً إدارة بوش والإدارة القديمة لـ "رونالد ريغان" وكلاهما يعرف عنهما انتماؤهما إلى الجماعة الإنجيلية المتشددة مع غالب الرؤساء الأمريكيين، وهو يوضح طابع التدين "الإنجيلي المتصهين" الذي غلب على التصريحات الإعلامية في خضم التصريحات التي سبقت الحرب، والتي وضحت الأهداف والغايات من الحرب الأمريكية والأحلاف التي عقدت من أجلها.

وتوضح علاقات الشراكة بين مالك شركة (XE) زي (بلاك ووتر)، وقادتها الميدانيين بأن هذه الشركة وباقي الشركات الأمنية هم الحلفاء الرئيسيون مع جيش الاحتلال الأمريكي، وتقوم بأدوار تفوق بقدر كبير مهام جيوش الاحتلال البارزة على الميدان، بينما تعمل هذه الجيوش بأدوار متعددة بالخفاء.. ولنأتى إلى مالك شركة "بلاك ووتر" المليونير (إيرك برنس) حيث سبق وأن خدم في سلاح البحرية الأمريكية وهو يميني مسيحي أصولي متطرف، يعد من أكبر الداعمين للحملات الدعائية الانتخابية والمنافذ الإعلامية جميعها، ومن أنشط الأعضاء في مجلس إدارة مؤسسة "الحرية العالمية للمسيحيين" وهي مؤسسة غير ربحية، وكذلك رئيس الشركة (غاري جاكسون) الذي كان يعمل سابقاً في القوات الخاصة التابعة للقوات البحرية الأمريكية.

والشركة عبر موقعها الإلكتروني يصفها رئيسها: بأنها تسعى لتقديم المساعدة للمسيحيين المضطهدين بسبب إيمانهم بالمسيح، وأنها مؤسسة إنسانية لا طائفية توفر المساعدات والدفاع وكتب الإنجيل للمسيحيين المضطهدين في مناطق النزاع أو الاضطهاد الحاد في العالم.

وأما أعضاء مجلس إدارة الشركة وهم كل من (جوزيف إشمتر) المفتش العام السابق لوزارة الدفاع أيام حكومة "ريغان"، و(جي كوفر بلاك) نائب رئيس مجلس إدارة الشركة ويشغل منصب (المنسق السابق في مكتب مكافحة الإرهاب في الخارجية الأمريكية لدى كولن باول)، ويضاف لهم عدد من كبار مسؤولي البنتاغون ووكالة المخابرات المركزية السابقين ويشغلون مناصب عليا في الشركة، منهم نائب رئيس الشركة (كوفر بلاك) الذي كان من كبار المسؤولين في إدارة مكافحة الإرهاب بإدارة بوش خلال أحداث

(٩/١١) صاحب المقولة الشهيرة "كنا هناك قبل ٩/١١، وبعد ٩/١١، وسنخلع القفازات"، و(نخلع القفازات) كناية عن الاستخدام المفرط للسلاح والإبادة. وقد تم إظهار الأهداف والغايات التي أنشئت من أجلها الشركات الأمنية التي تدار جميعها من قبل الاحتلال الأمريكي، والشركات التي أخذت موقع الصدارة في قيادة الشركات الأمنية، ظهرت أهدافها كجيوش مرتزقة قاتلة وبدم بارد وتقاتل في الميدان، تتقدم جيوش الاحتلال وتهيئ لها الغطاء الأمني والمعلوماتي الذي تحتاجه، وهي لا تختلف عن منهجية الجيش في الظاهر من أنها الذراع الساحق للشعوب الذي يعمل بخفاء مع الجيش، وفي نظمها تعلن بأنها تسعى "لتقديم المساعدة للمسيحيين المضطهدين بسبب إيمانهم بالمسيح" وهذا يكشف الأهداف الدينية لحروبهم على العالم الإسلامي، وترافق جهود الحركات التبشيرية وتقدم المساعدة بعد اكتمال مهام التبشيريين الذين يعملون على نشر أفكارهم، وتقديم تقاريرهم حول اكتمال مهامهم في الكثير من مقاطعات الدول الإسلامية، بأن هؤلاء الذين آمنوا حديثاً بالمسيح سيتعرضون للاضطهاد بسبب قبولهم بالأموال التي دفعها لهم قساوسة الحركات التبشيرية، وهم يستغلون فقرهم وعوزهم، وبالتالي فإنهم يطلبون القوات العسكرية للتدخل المباشر لحماية الحملات الصليبية التبشيرية، وتقول في نظمها وتظهرها "أنها مؤسسة إنسانية لا طائفية توفر المساعدات والدفاع وكتب الإنجيل للمسيحيين المضطهدين في مناطق النزاع أو الاضطهاد الحاد في العالم" وهذا يوضح كذب الإدعاء بأنها غير طائفية، وهي تقول بأنها (مؤسسة لا طائفية) فكيف تكون لا طائفية ولا توزع إلا الأنجيل ولا تدافع إلا عن المسيحيين المضطهدين في مناطق النزاع الحاد في العالم، وهذا يبين العنصرية الفاضحة للإدارة الأمريكية.

وتعتمد عليها الإدارة الأمريكية في القيام بعمليات التفاوض السري مع الكثير من الأطراف الدولية التي تتآمر على أنظمتها وتلوح بانخراطها في ركب المشروع الأمريكي "الإصلاحي الديمقراطي" وتعمل على إدارته المباشرة كمثل عن الطرف الأمريكي، وتقوم بتقديم وتوفير كل الاحتياجات (من الأسلحة والأموال وغيرها) التي تطلبها الأطراف الخاضعة للسياسة الأمريكية، لقاء تقديم كافة التسهيلات للجيش الأمريكي إذا تدخل تدخلًا مباشرًا لاختيار الأشخاص المناسبين الذين يخضعون لسياساته ومشاريعه وإرادته، وهذا ما حصل تماماً في العراق وأفغانستان وبنما وباكستان ودول كثيرة، وهذا يكشف الوجه العنصري الخبيث لأمريكا.

الشركة عبارة عن تآلف جيوش متعددة من ذوي الخبرات القتالية والمعلومات الأمنية المتراكمة ومن أنحاء العالم كافة، ومن أبرزهم القوات الخاصة "الكوماندوز" ومن دول متعددة، وعلى الرغم من ذلك فإن مالك شركة "بلاك ووتر" يصف شركته محددًا ولاءها؛ بأنها امتداد وطني للجيش الأمريكي، ولذلك وسعت الإدارة الأمريكية اعتمادها واستخدمتها لعناصر الشركة وقواتها المرتزقة في الكثير من فعاليات الحكومة الأمريكية، ومنها المشاركة الفعلية القتالية مع الجيش الأمريكي، وتقديم المعلومات الأمنية التي تحتاجها جيوش الاحتلال، وتوفير الحماية لأعضاء الإدارة الأمريكية في العراق ابتداءً من "جي غارنر" الحاكم العسكري للعراق، ومروراً بـ "بول بريمر" ونغروبونتي، وزلماي خليل زادة، وقد كشف تصريح زادة السفير الأمريكي السابق في العراق، عقب سقوط طائرة تابعة لشركة "بلاك ووتر" في مجمع عمارات شارع حيفا وقتل من فيها، ووصفهم بأنهم رجال أكفاء وسبق وأن عملوا معه، وهذا التصريح يكشف عن مهام الشركة التي كانت

تقتل المدنيين في تلك المنطقة، أو لحماية شخصية من شخصيات إدارة الاحتلال.

وكشفت الأعمام السابقة من الاحتلال عن جملة من النشاطات الواسعة التي تقوم بها الشركة، ومدى الاعتماد الكبير من قبل الإدارة الأمريكية على الشركات الأمنية الخاصة ومنها هذه الشركة، وبرز لها دور واضح في إدارة العمليات ونشاطات واسعة في العراق وأفغانستان، وتعمل بشكل خفي في السودان مع قوات حفظ السلام في (دارفور) ودفعت الشركة وبإصرار باتجاه المشاركة في قوات حفظ السلام في دارفور، على الرغم من المعارضة الشديدة في الأمم المتحدة من استخدام قوة خارجية في قوات حفظ السلام، لكنها شاركت فعلاً مع قوات حفظ السلام في دارفور، وإن خفي هذا. فإن جهة ما لا يمكن أن تتكرر دور شركة "زي" بلاك ووتر وبقية شركات الأمن الخاصة في تقديم خدماتها المتعددة وفي المجالات كلها (العسكري والمادي المالي والمعنوي، والاستخباراتي المعلوماتي، وكل أنواع الدعم اللوجستي)، واعتمدوا بذلك على الجنس الأفريقي الذي لا يمكن أن يميز من بين قوات حفظ السلام، وقد بعثوا جنودهم الأفارقة حول دارفور في "الكونغو وليبيريا"، وقاموا بحماية قوافل الشاحنات للمواد الغذائية والمخازن والتي تحمل بين الغذاء شحنات الأسلحة لأطراف النزاع المتعاونين مع البرنامج الأمريكي، كما وفروا الحماية للشخصيات.

وذكرت مصادر بأن هناك مفاوضات مباشرة للشركة أجرتها في حينها مع (الجيش الشعبي للتحرير) تم الاتفاق بموجبها على مشاركة خفية داخل الجيش لغرض تدريب "المسيحيين" في جنوب السودان عسكرياً، وتم الكشف عن علاقة مالك الشركة بمؤسسة "الحرية العالمية للمسيحيين" التي استهدفت السودان لسنوات طويلة.

وكشف التحقيق الذي أجرته المحكمة الفيدرالية في ولاية "فرجينيا" في شهر آب/ من العام ٢٠٠٩م ، مع اثنين من مرتزقة "بلاك ووتر" عن تورط صاحب الشركة "إريك برنس" في عمليات إبادة الشعب العراقي وتسهيل عمليات القتل والإبادة، وقالوا: بأن هذه الحملات من القتل تأتي على خلفية صاحب الشركة الدينية المتطرفة الذي هو من أتباع المسيحية المتصهينة ويعد نفسه "مسيحياً صليبياً" مهمته القضاء على المسلمين وعلى الدين الإسلامي ومحوه من الأرض".

وتقوم وزارة العدل الأمريكية بلعب دور تزويق القانون الأمريكي، وكأنه حاضر مع الجرائم الأمريكية كلها، وهي تحاكم هذين المجرمين من بين مئات الآلاف من قتلتهما المأجورين، ومن المشاهد التي نجدها مثيرة للسخرية أن الولايات المتحدة الأمريكية ما زالت تصر على التعامل مع شركة "بلاك ووتر" على الرغم من جرائمها المفضوحة، وهي التي ادعت كثيراً بأنها تحاول الحد من الجرائم التي ترتكبها هذه الشركات، وكذبت على الرأي العام العالمي بأنها لن تمنح شركة بلاك ووتر عقوداً أمنية في العراق، والغريب أن أمريكا التي أوعزت لوزارة "عدلها" أن تحاكم هذين المجرمين من شركة بلاك ووتر، نجد أن وزيرة خارجيتها "هيلاري كلنتون" استعانت بحماية الحراس الأمنيين من الشركة نفسها عندما زارت العراق، وكذلك باقي الشخصيات من الإدارة الأمريكية، وفي العام الذي تنكشف فيه خفايا الإبادة التي ترتكبها الشركة يتم تجديد عقد شركة "XE" (زي) بلاك ووتر، وتمديد فترة بقائها في العراق.

ويعود الطابع الديني المتعصب، والأيدولوجية اليمينية المتطرفة التي تتصف بها الشركة؛ إلى تأريخ مالكاها "إريك برنس" وهو المعروف عنه التصاقه الشديد بتيار اليمين المسيحي الصهيوني، وكذلك التوجه المعروف عن

عائلته، فوالده أحد الممولين الكبار للتيار المسيحي المتطرف، ويعرف عنه المقربون له بأنه أحد مقاتلي "الحرب الصليبية الجديدة" ولا تخفى علاقة هذه العائلة مع متشدي إدارة بوش السابقة.

وإذا كان الإعلام وخصوصاً ماكينة الإعلام الأمريكي، يركز على التوجهات العنصرية المتطرفة لدى شركة بلاك ووتر، وكأنها الشركة الأمنية الوحيدة التي تسلك السلوك العنصري وتتهم بحملات الإبادة ضد الشعب العراقي، لكن حقيقة الأمر تظهر السلوك العدواني المبني على الخلفيات العنصرية والحد الديني المتعصب الذي يلغي المقابل ويصادر معتقده ورأيه ووجوده، وهذا الطابع يطبع جميع شركات الأمن الخاصة مع طابع الإجرام المافيوي لجميع القاتلين المأجورين في الشركات الأمنية.

ومن الأدوار المشبوهة التي اكتشفها الشعب العراقي ولمسها بنفسه.. حوادث إلقاء القبض على عصابات بسيارات مدنية وهم يجوبون المدن العراقية لافتعال الأزمات وخلق الفتن بين أبناء البلد، لتمزيقه وتشتيت وحدة شعبه وتجزئة أرضه وتشويه صورة المقاومة العراقية بعمليات إجرامية ومحاولة نسبتها إلى فصائل المقاومة عن طريق إعلامهم المأجور، وبالتالي يضربون مكونات المجتمع العراقي بعضها ببعض الآخر من خلال تأجيج الفتن الطائفية وإثارة النعرات القومية عن طريق الاغتيالات واستهداف المراقدين الدينية وغيرها من الأفعال، وبالتالي يتمكنون من إشغال العراقيين بأنفسهم عن طريق الاقتتال فيما بينهم، وهذا ديدن الاحتلال والحركات التبشيرية.. ومن هذه الأفعال ما حدث في جنوب بغداد في العام ٢٠٠٤م، وهي حادثة معروفة عندما شاهد أبناء إحدى المناطق سيارتين من نوع (هيونداي تريكان) حديثة، تجوب المنطقة ولعدة أيام؛ الأمر الذي دعا أبناء المنطقة إلى الحذر منها ونصبوا لها الكمائن ولم يتم التعرض لها حتى رأوها

تستهدف مرقداً في تلك المنطقة لتفخيخه ويحمل راكبوها أسلحة متطورة، وعندها هاجم أبناء تلك المنطقة إحدى سيارتي هذه العصابة وقتلوا اثنين وأسروا اثنين منها، وفرت السيارة الأخرى إلى جهة مجهولة؛ اكتشفوا عند تفحص الأوراق التي بحوزتهما أنهما من مرتزقة شركات الأمن الخاصة ومن الجنسية البلغارية تحديداً، ووجدوا في السيارة مخططات وخرائط لمناطق مختلفة من العراق وبرفقتهم قائمة أهداف تتضمن مراقد وأسماء ضباط عسكريين وشيوخ عشائر وأئمة مساجد وأسماء وعناوين أخرى، وتم تسليم هذه العصابة إلى مركز شرطة العامرية، وبعد أيام من الحادثة أخبر ضابط المركز أهالي المنطقة الذين تابعوا الموضوع لمعرفة تفاصيل الموضوع بأن قوة أمريكية جاءت إلى المركز وأخلت سبيلهم من دون أن يسمحوا لضباط المركز بقول كلمة واحدة.

وهناك فرق من شركات الأمن الخاصة جابت أراضي محافظة الأنبار وفعلت ما فعلت بهذه المحافظة، من قتل شيوخ العشائر وقتل علماء الدين والكفاءات والضباط العراقيين، وكان منها ما كشفه أبناء مدينة الفلوجة عندما تصدى أهلها لبعض سيارات الدفع الرباعي التي كانت مجهزة ومسلحة لتنفيذ واجبات خاصة ومشبوهة في محافظة الأنبار، وعندها كشف الحادث أن المهاجمين في سيارات الدفع الرباعي كانوا من مرتزقة شركة بلاك ووتر "زي".

وفي يوم الثلاثاء ١١ / ١٠ / ٢٠٠٥م، فوجئ جنديان أمريكيان يرتديان الزي العربي بالشرطة الحكومية التي أنشأها الاحتلال بنفسه، وكانا يحاولان تفجير سيارة مفخخة بالمتفجرات في منطقة الغزالية التي تقع غرب بغداد، وبينما كانت قوات الشرطة تقودهما إلى أحد مراكز الاعتقال لاستجوابهما، ظهرت قوة عسكرية أمريكية وقامت بإنقاذ السجينين وفرت سريعاً من

المنطقة، وعندما حاولت أجهزة الإعلام العربية والعالمية تناول هذا الحدث الذي كشف الكثير من خفايا الأمور وأجاب على آلاف الأسئلة التي تدور في أذهان الشعب العراقي وشعوب العالم كلها، ومنها معرفة الجاني الحقيقي الذي يقتل الشعب العراقي بالمفخخات والعبوات الناسفة التي تزرع في طرق مدارس الأطفال وتجمعاتهم وفي الأسواق ومن الذي يقوم بقتل العراقيين الأبرياء؛ جوبهت بالإرادة الأمريكية التي تريد التعقيم على مثل هكذا أخبار وأحداث، حتى لا يتعرف العالم على حقيقة الإجرام المنظم الذي يتعرض له الشعب العراقي، وفي اليوم التالي سكنت أجهزة الإعلام كلها ولم تتطرق إلى خبر العصابات الدموية الإجرامية التي تقتل الشعب العراقي، وهذا ديدن الإعلام دائماً في القضية العراقية عندما تأمره أمريكا أن يسكت فإنه يستجيب مباشرة طائعاً ومن دون أدنى تأخير، وعلى الرغم من أن الإعلام اكتشف أن المستهدف الرئيس من وراء تلك العملية كان قتل أشخاص مدنيين بشكل عشوائي من أجل زيادة التوترات بين مكونات العراق، ومحاولة إرباك عمليات المقاومة العراقية.

وفي ١٩/٩/٢٠٠٥م، ضبطت الشرطة الحكومية في محافظة البصرة التي تبعد (٤٥٠) كيلو متراً جنوب بغداد، جنديين بريطانيين متخفيين في ملابس عربية ويحملان أسلحة أوتوماتيكية رشاشة ومتفجرات في سيارة، وهذا الحادث برز إلى الواجهة الإعلامية بشكل ملفت للنظر، حيث أن تفاصيل الحدث صارت باعثة على الغرابة ومثيرة للتساؤلات، حيث عملت قيادة القوات البريطانية المتمركزة في دولة عربية على الضغط على العراقيين من أجل إخلاء سبيل عصابات القتل الإرهابيين، ولما شعرت أن مبادرتها السريعة تلك لم يتم التفاعل معها وفق الشكل المطلوب، بادرت فرقة عسكرية بريطانية بمهاجمة السجن باستخدام دبابات ومروحيات، ما أسفر عن تدميره

كما قتلت العديد من الشرطة الحكومية وأطلقت سراح السجينين المجرمين، ومضى الأمر وكأن شيئاً لم يكن، وتم إغفال هذا الحادث الجلل وجميع تداعياته من دون متابعات وتأجيح من أجهزة الإعلام وبلا مسائلة قانونية أو متابعة قضائية، وكشف هذا الحادث أيضاً الخطورة الكبيرة التي ترتبها عصابات التدمير والقتل الأمنية الخاصة في محاولة بث سمومها بين ثنايا المجتمع العراقي لتأجيح الفتن الطائفية والتناحر القومي لتمزيق لحمة البلد وتفريق صفه ليصفو لهم الحال للعبث بأمن العراق وسلب هويته من خلال التناحر الذي ينشأ على هامش تلك الأحداث الإجرامية، التي تحاول عصابات شركات المرتقة نسبتهما إلى المجتمعات الإسلامية - وبمرور الوقت تم اكتشاف أن الجنديين اللذين كانا يرتديان زيّاً عربياً كانا تابعين لقوات الخدمة الجوية الخاصة، تلك القوة البريطانية المدربة على "اجتياز خطوط العدو أرضاً وبحراً وجواً في أجواء عدائية".

أما عن الخدمات الإنسانية التي تدّعيها الشركات الأمنية فهي عبارة عن جهود خاصة تقدم في المناطق الأمريكية المنكوبة أو مناطق النفوذ الأمريكي التي تحدث فيها فوضى أمنية تعجز الإدارة الأمريكية عن كبها لأنها غارقة في الانهيارات الاقتصادية والعسكرية والإعلامية وغيرها، وقد استخدمت أمريكا عناصر بلاك ووتر في مدينة "نيو أورليانز" من أجل السيطرة على الوضع الأمني في المدينة والولاية بعد الإعصار الذي ضربها.

وبلاك ووتر ليست الشركة الوحيدة العاملة في العراق، فهناك أكثر من (٣١٠) شركة أمنية أجنبية تعمل في العراق، وجميعها منظمة في اتحاد واحد تحت اسم "اتحاد الشركات الأمنية في العراق".

ومكّن قرار القيادة العسكرية من زيادة مستوى الوحدات بشكل كبير مع المتعاقدين الذين (أصبحت أدوارهم القتالية الآن موازية لتلك القوات التي

يسمح بها الدستور والكونغرس الأمريكي) حسبما كتب "هربرت فنستر" من مؤسسة "ماكينا لونغ والدريدج" القانونية، التي مركزها في واشنطن، وأثير تساؤل عن شرعية إشراك المتعاقدين في العمليات الحربية حتى في الداخل الأمريكي، ولكن لم تضع لا وزارة الدفاع ولا وزارة الخارجية دليلاً لاستخدام عشرات الآلاف من البنادق في ساحات القتال كعدة وتجهيزات لجيوش متكاملة، وأدى غياب الإشراف المباشر من قبل الوزارتين إلى زيادة الأعباء على الموظفين العاملين في الشركات المتعاقدة التي كانت تقوم بتحقيقاتها الخاصة حينما تقع حوادث إطلاق نار، وتعمل عشرات الشركات الأمنية تحت أطر من التعاقدات الثانوية التي تجعل الإشراف على أنشطتها وتعقبها أمراً مستحيلاً، فهم غير مسؤولين أمام أي طرف عن الحوادث العنيفة حسبما قال مسؤولون أمريكيون وممثلون عن الشركات على اطلاع بالترتيبات الخاصة بالتعاقدات، وغالباً ما يتوجه المسؤولون الأمريكيون إلى "اتحاد الشركات الأمنية الخاصة للعراق" وهي منظمة تجارية تمولها الشركات الأمنية، وذلك لبقاء استقلالية الشركات الأمنية من المتابعة والمراقبة واستقلاليتها المالية، والغاية من كل ذلك المحافظة على استقلالية التخطيط والتحرك والانطلاق لأداء الهجمات التي تقررها من خلال قيادة كل شركة أمنية على حدة.

ويعمل "لورنس بيتر" ضابط الاستخبارات المتقاعد كمدير للاتحاد، فيما هو يعمل كمستشار لمكتب دعم إعادة الإعمار للدفاع وهذا العنوان عبارة عن واجهة تخفي الأدوار الحقيقية لكل شخصية في المخططات الضخمة لمشروع الاحتلال الأمريكي، وهذا المكتب تابع لوزارة الدفاع ويقوم بإدارة العقود في العراق وأفغانستان، وقال "براين ويتمان" المتحدث باسم وزارة الدفاع: إن بيتر (يكسب بضعة آلاف فقط من الدولارات في السنة كمستشار).

ويعمل اتحاد شركات الأمن الخاصة في مقر كبير يتألف من مجموعة مكاتب موجودة في دائرة فيلق "لوجستيكيات المهندسين" تقع داخل المنطقة الخضراء، وقال "جاك هولي" كولونيل المارينز المتقاعد الذي يرأس هذه الدائرة إن (بيتر والاتحاد يلعبان دوراً حاسماً ضمن مؤسسات الأمن الخاصة لتحسين أدائها، وهما يحاولان ملء فراغ نجم عن فشل الحكومة الأمريكية في تشخيص المشكلة).

وبالتالي نجد أن الحشود التي تعمل أمريكا على جمعها في المنطقة لم تكن من أجل الديمقراطية ولا رحمة بدول وشعوب المنطقة، وإنما من أجل مشروع كبير لترويض المنطقة وإخضاعها لسياستها ومشاريعها وهي تمارس دور القطبية الأحادية والتسيد على العالم بما تسميه أمريكا "مشروع الشرق الأوسط الكبير"، مستغلة انهيار المعسكر الاشتراكي الشيوعي الذي تمثل بالاتحاد السوفيتي أبان الحرب الباردة، وكأنها _ عندما أعلنت حربها على دول العالم _ تريد أن تبعث برسائل لجميع القوى المتسيدة على العالم المتمثلة بدول مجلس الأمن الدائمة العضوية في الأمم المتحدة؛ لتعلن انتصار المعسكر الرأسمالي، وكأن الذي يجري كله برضى هذه الدول وموافقتها على السياسة الأمريكية وهي تريد بعد ذلك تقاسم النفوذ والمصالح على هذه الدول، وبدأت بالشعوب التي تظن أنها تخضع بسهولة للمشروع الأمريكي نتيجة ضعفها وإنهاكها بحروب جانبية، فإذا بها تتفاجأ بمقاومة ورفض هذه الشعوب والمجتمعات لمثل هذه الشعارات المكذوبة، وترفض الهيمنة الأمريكية التي تريد مصادرة هوية البلاد التي تقوم بغزوها، واصطدمت بالزلزال المالي الذي هز كيان السياسات الأمريكية والوجود الأمريكي في عقر داره، وبالتالي سقطت أكذوبة انتصار المعسكر الرأسمالي بإعلان إفلاس مئات الشركات الأمريكية الكبرى وتبعه أيضاً إعلان إفلاس مئات المصارف الأمريكية

الكبرى، وشهد العالم زعزعة كيان الإدارة الأمريكية وسقوط هيمنتها، وسقوط الهالة المكذوبة التي أحاطتها الماكينة الإعلامية الضخمة التي عملت على تسويق المشاريع الأمريكية والسياسات العنصرية والمشاريع الإرهابية التي عملت أمريكا على نشر الرعب بواسطتها على شعوب العالم كلها.

وقد وجدت أمريكا نفسها تلجأ مضطرة إلى جلب جيوش المرتزقة والاستعانة بهم لإنقاذها من الهزيمة، وهي تحاول أن تنقذ ماء وجهها من الهزيمة المرة في العراق، وجاءت بهؤلاء المرتزقة من فرسان الصليب من القتل وسفاكي الدماء لسحق الشعوب المسلمة، كما يصرح بذلك كل مدراء الشركات الأمنية الخاصة، وهم يتفقون على هذه الإستراتيجية العنصرية التي تريد أن تصادر الأديان وتصادر حياة من يعتنقها.

وعملت وفق برنامج ومنهجية وسلوكيات تؤدي إلى تمزيق وحدة الدول ووحدة نسيجها وأطيافها بأحداث خفية ونسبتها إلى السلوكية المجتمعية الإسلامية، ويراد من ورائها إضعاف المجتمعات الإسلامية، وصناعة المسوغات الوهمية للتدخل العسكري المباشر لإبادة الشعوب واحتلال الدول، وهذا ما نتج تماماً عن التحركات الخفية لشركات الارتزاق على أرواح الشعوب ورقابهم، والتهمة دائماً هي محاربة الإرهاب.

وتعمل شركات الأمن على التخطيط لمجموعة أحداث ومن ثم تتحرك بعدها على إشاعة وترويج أن مرتكبيها هم مسلحون خرجوا من المدن، وتتوجه بأسلحتها الفتاكة تجاه تلك المدن لسحقها وتحقيق أهدافها التي تتبناها وفق مدوناتا التي تنشرها على مواقعها الإلكترونية.. وهذا كله يكشف الأهداف التي جاءت من أجلها شركات المرتزقة وهي تضم في صفوفها جحافل القساوسة ومتعصبي الكنائس المتصهينيين وفرسان المعبد لسحق الشعوب وتدمير البلاد.

حينما تتجنى القيادة المركزية على الأقاليم الحرة

حسين الرشيد^(١)

قرأت سطوراً للسيد (غازي الأسدي) يزعم فيها أنه يرد فيها على مقالتي التي كتبتها قبل فترة وجيزة من الآن، وبلغت عشرين صفحة، ونشرتها في (مجلة حضارة العراقية الغراء) التي بدأ صيتها النبل يذيع، رغم أنه لم ينقض من عمرها سوى عام واحد، وكانت بعنوان (جيش الاحتلال في العراق بين الفرار والانتحار)، ثم أعدتُ نشر مقالتي تلك في بعض الوسائل الإعلامية الأخرى؛ حتى تعم فوائدها، وترتجى عوائدها.

وكان من بين من نشرها (وكالة يقين للأنباء) التي تعد رائدة في وصف الحالة العراقية، دون تزيين وتزييف، أو تبديل وتحريف؛ ليصلني بعد أيام من نشرها تعليقاً من سطور، ينتقد فيها السيد الأسدي ما جاء في مقالتي من حقائق، لم تعد خافية على عقلاء بني آدم.

والحقيقة أقول، أنني لم أشأ في بداية أمري الرد على السيد غازي الأسدي، المتحدث باسم القيادة المركزية لقوات الاحتلال الأمريكية؛ لأنني

(١) مدير تحرير مجلة حضارة.

منشغل ببعض الدراسات والأبحاث التي أقوم بها؛ لخدمة قضيتي العادلة، وشريعتي الغراء.

غير أنني آليت على نفسي إلا أن أتفرغ بعض الوقت حتى أوضح بعض ما جاء في تعليق الأسدي من مغالطات، وما حوته السطور التي كتبها من تناقضات، تتضح لمن يقرأ التعليق دون تعب أو معاناة.

ويبدو لي أن الذي أوقع السيد الأسدي بشباك الخطأ والزلل، هو شدة حرصه في الرد على الآخرين، ممن يقومون بفضح المخططات التي يرتكبها من يتحدث هو باسمهم من المحتلين الغاصبين، ممن يصفهم بـ (جنود التحرير)، الذين حرروا العراقيين من ظلم الدكتاتورية التي جثمت على صدورهم ما يزيد على عقدين ونصف من الزمن.

أقول: جاء في رد الأسدي عليّ، أنني أصف خروج قوات الاحتلال من المدن بأنه نتيجة للهزيمة التي منيت بها تلك القوات الغازية، ويصح لي بأنني أجافي الحقيقة وأتجاهل واقع الأمور!! وفات الأسدي أن يصف نفسه بالتجاهل والتناسي حين لا يعترف بأن الحقيقة الناصعة هي ما أشرت إليه، من أن ذلك الانسحاب (إن تم فعلاً) فإنه هزيمة، وجاء نتيجة الضربات الموجعة والمتتالية لفصائل المقاومة، التي ما فتأ السيد الأسدي يصفها في تعليقه بأنها (جماعات إرهابية خارجة على القانون)، الذي وضعه الاحتلال، الذي يتحدث هو باسم قيادته المركزية، في ظل وجوده اللاشرعي.

ثم ينتقل السيد الأسدي من شباك الخطأ والزلل؛ ليقع هذه المرة في شباك التناقض، فهو يخاطبني فيقول: ((إن مناقشتك المتعلقة بحالات الانتحار والفرار من الخدمة التي تدعي تفشيها بين الجنود الأمريكيين وتستدل بها على أنها دليل للهزيمة هي خالية من الصحة وبعيدة عن الواقع لأنك أخفيت الكثير

من الحقائق فاسمح لي بالكشف عنها، رغم أنه من الحقيقي هنالك ارتفاع في معدل الانتحار بين جنود الجيش الأمريكي في السنوات الأخيرة)) انتهى بنصه وأنا هنا أجعل القارئ الكريم هو الحكم، لأنني احترم القارئ وإرادته وفكره، ولا أفرض عليه فكرة مسبقة، كما يفعل الأسد، وأدعو القارئ لأن يدقق في كلام الأسد وتناقضاته، حين يصف إثباتي لحالة (الانتحار) التي تفشت في صفوف جيش الاحتلال الأمريكي والبريطاني على حد سواء بأنها ((خالية من الصحة وبعيدة عن الواقع))!! مع أنه بعد عشر كلمات فقط من هذا النص يقول: ((من الحقيقي هنالك ارتفاع في معدل الانتحار بين جنود الجيش الأمريكي في السنوات الأخيرة)).. فأبي تناقض هذا!!..

وإذا كان ثمة اعتراض من السيد الأسد على هذه الحقيقة، فينبغي عليه توجيهه إلى بعض الفهماء الأمريكيين أنفسهم، ممن أدرکوا خطورة الوضع الذي يمر به جنودهم الغزاة في العراق، فهذه الناشطة الأمريكية المناهضة للحرب في العراق (سندي شيهان)، التي قتل ابنها خلال الحرب الأمريكية على العراق تؤكد أن الخسائر التي خلفتها حربي العراق وأفغانستان ضخمة جداً، وأنها لا تقتصر على مقتل الجنود فحسب؛ بل خلّفت تداعيات وآثاراً وخيمة على الجنود الأمريكيين لدرجة يقوم يومياً ثمانية جنود أمريكيين بالانتحار وسبب ذلك يعود إلى المشاكل والأمراض النفسية التي أصيبوا بها خلال هاتين الحربين.

وطالبت هذه الناشطة الواعية، العاقلة، النابهة، التي عرفت حقيقة ما يدور في العراق، في تقرير نشره تلفزيون "راشاتودي" بمحاكمة الرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش) ومعه كافة المسؤولين عن حربي العراق وأفغانستان؛ لارتكابهم جرائم حرب ضد الإنسانية، معتبرة أن الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان غير قانونية.. مؤكدة بأن حربي العراق وأفغانستان أثّرتا

على المجتمع الأمريكي، وأن الأمريكيين لا يزالون يخوضون الحرب في العراق، في وقت تشهد فيه الأوضاع في أفغانستان تدهوراً كبيراً مما اضطر المسؤولين الأمريكيين إلى زيادة عديد القوات في هذا البلد، مشيرة إلى أن هناك أكثر من خمسة آلاف من القوات الأمريكية باتوا "ضحية" هاتين الحربين كما لقي (٣٠٠) جندي أمريكي حتفهم في أفغانستان خلال (٢٠٠٩م).

وهذه الحقيقة التي تفوهت بها هذه السيدة يقرُّ بها كثير من أمثالها من الأمريكيين والبريطانيين والأوربيين وغيرهم، فإذا كان هناك ثمة نقد يا سيد (أسدي) فينبغي توجيهه لأمثال هؤلاء الفهماء الحكماء!!

ثم يتناقض الأسدي أكثر حينما يرد عليّ في إثباتي لتفشي حالة (الفرار) فيقول ما نصه: ((وكذلك الأمر المتعلق بالفرار من الخدمة العسكرية فإنه رغم ارتفاعه قبل سنوات حيث وصل إلى أعلى حد قبل سنتين بمعدل قدره ٩ حالات من بين كل ١٠٠٠ جندي))!! إنَّ السيد الأسدي الذي يصفني بإخفاء الحقائق عن القراء الكرام؛ لا أتلَمُّ في تعليقه هذا إلا مزيداً من محاولة إخفاء المعلومات عن القارئ، مع عدم تمكنه من ذلك؛ لأن الحق أبلج، ولا بد أن يظهر ولو كره الأسدي، ومن ركب معه في مركب الاحتلال.

وإنني لأعجب كثيراً أن يقع الأسدي في تناقض أعمّ وأشمل مما تقدم، مع أن تعليقه لا يتجاوز الصفحة الواحدة، حيث يقول أيضاً: ((إنَّ أية شخص يفهم مادة ولو بعقلية الأطفال سيرى ويستنتج بأن تلك الأرقام لن تؤثر كثيراً على تنفيذ الجيش لمهامه ولكن يبدو بأن الحقيقة ليست لها أهمية في مقالتك))!!.

ولي مع هذا النص الركيك (الذي تآكل بسبب ركاكته، وكثرة الأخطاء اللغوية التي فيه) وقفات مهمة، أولها: استهانة الأسدي بعقلية القراء، واستخفافه بمداركهم ووعيمهم، وتجاوزه كثيراً عندما أراد أن يفرض فكره عليهم، وهو ما ساقه إلى أن يصف عقل من يخالفه بـ(عقلية الطفل)!!

وثانيها: اعترافه وإقراره مرة أخرى بانتشار حالتي الفرار والانتحار، مع ادعائه بأن الأرقام المعلن عنها في هاتين الجزئيتين لا تؤثر كثيراً على تنفيذ الجيش لمهامه!!.

وثالثها: إنني أوجه سؤالي هنا للسيد الأسدي فأقول: ما هي المهام التي جاء هذا الجيش الجرار، وعبر القارات والبحار، حتى يقوم بتنفيذها على أرض الرافدين؟! هل لك أن تضع القارئ أمام الحقيقة باعتبارك صاحب الحقائق الناصعة، والتي تتهمني وتزعم أن ((الحقيقة ليست لها أهمية في مقالتي!! أرجو منك أن تضعنا أمام الحقائق يا سيد أسدي.

على إنني أذكرك بأنه حتى السياسيين المشاركين في الحكومة الحالية في العراق، يجهلون حقيقة المهام التي جاء الاحتلال من أجل تنفيذها في العراق، ولطالما سمعنا مطالبات بعضهم لأركان الإدارة الأمريكية وسادة البيت الأبيض بأن يُطلعوهم على ماهية تلك المهمة ومضمونها، والتي طالما ربطوا خروجهم من العراق بتحقيق وتنفيذ تلك المهمة التي جاؤوا من أجلها.

ولما لم يجد السيد الأسدي ما يرد به على مقالتي رغم طولها، بدأ يذهب بعيداً، دفعاً للحرج الذي وقع فيه، وراح يغرد خارج السرب، ليحدثني عن موضوع ما يسمى (الاتفاقية الأمنية بين الحكومة والاحتلال) وهو موضوع أكل عليه الدهر وشرب، وطبخ فيما مضى من سالف الأيام حتى احترق، فهو يقول: ((ومن الخطوات المستقبلية للقوات الأمريكية في العراق والتي حددتها تلك الاتفاقية هي الخروج من العراق مع حلول نهاية عام ٢٠١١م)). ويقول: ((إن هذه الخطوة ليست بسر خفي، بل أعلن عنه لتراه أنت وبقية العالم كجزء من تلك الاتفاقية التي يتضح بأنك لم تقرأها أو أنك تتجاهلها. أنا متأكد بأنك ستقلب ذلك الخروج المستقبلي بالهزيمة المذلة. إن أية إنسان عاقل ومنطقي

قام بقراءة تلك الاتفاقية سيستنتج من دون معاناة بأنها خطوة متبعة وتطور طبيعي)).

وهذه الفرضيات التي افترضها وأجاب عنها السيد (غازي الأسدي) بنفسه أوقعته في تناقض كبير، فإنه ليس من شأن مقالتي معالجة موضوع ما تسمى (الاتفاقية الأمنية) بين الحكومة والاحتلال، ولذا أجد حديثه عنها هرباً من الحقيقة الناصعة، التي لا تكاد تخفى على ذوي الألباب، وهو ذات المعنى الذي يقف وراء وصفه لي بجهل الاتفاقية الأمنية، أو تجاهلي لمضمونها!! ويبدو لي أن السيد الأسدي يعلم موقعي من تلك الاتفاقية مسبقاً، وبادر نيابة عني بوصف الانسحاب المزمع إجراؤه في نهاية عام (٢٠١١م) بناءً على ما نصّت عليه تلك الاتفاقية هزيمة!! مع أنني أشك كثيراً بجدية الانسحاب الأمريكي من العراق.

وإذا كان الأسدي يصف ذلك الخروج بأنه خطوة تطبيقية لتنفيذ الاتفاقية، فإنني أعدّ تلك الاتفاقية برمتها وصاية يسعى الاحتلال لتطويق رقاب أعناق العراقيين من خلالها، في مسعى واضح للسيطرة على إرادة الشعب، ونهب خيراته وثرواته.

ثم يعرج السيد غازي الأسدي على موضوع المقاومة، ويصفها هذه المرة بـ(القوات التي تحارب ضد القوات الأمريكية والحكومة العراقية الشرعية)، ويتساءل قائلاً: ((بأي منطق يقال بأنها (المقاومة) تدافع عن أحد؟ تلك القوات (المقاومة) لا تتحكم ولا حتى ببوصة واحدة من أرض العراق، أو تمثل أية فئة من فئات الشعب العراقي، ولم تجلب تلك القوات (المقاومة) إلا الدمار والإرهاب ضد الشعب العراقي، رغم جلبهم الكثير من العنف ضد المدنيين من الأبرياء، إلا أنه تأثيرهم على ما يحدث على الساحة العراقية صغير جداً،

وهذا يظهر من ردة فعل الشعب العراقي بالتحفظ والاحترام للسلام والقانون لأعمالهم الوحشية)).

والحق أنني لا أعرف كيف أتجاوز في هذه الجزئية مع شخص لا توجد بيني وبينه أرضية مشتركة، في وقت يصف فيه الأسد المكافحة بأنها قوات خارجة عن القانون، وهي تمارس الأعمال الوحشية، مع أنني ألاحظ حالة الارتباك والاضطراب في أوصافه؛ بسبب عدم قناعاته بالكلمات التي يكتبها!! فالقوات الخارجة عن القانون يعترف الأسد بأنها تقاوم القوات المحتلة، ولا أدري إن كان الأسد يعلم أو لا يعلم أن مقاتلة المحتل واجب شرعي ووطني، وهو حق كفلته الشرائع والقوانين جميعاً، وسيد البيت الأبيض السابق ومسعر الغزو (جورج بوش) هو من صرح بنفسه أن الولايات المتحدة لو احتلت لدافع عنها!!، والأمريكيون وسادتهم ومن وقف معهم في إلحاق الظلم بالعراقيين هم من اعترفوا بأنهم يمارسون حالة الاحتلال لبلد مستقر ومستقل، فلماذا يدافع الأسد عن المحتلين، وهذه رغبتهم وتلك توجهاتهم.

و يقول الأسد إن المقاومة لا تتحكم ببوصة من الأرض العراقية، وأنها لم تجلب إلا الدمار والإرهاب للشعب العراقي، وهنا أتساءل عن التدليس الذي لا يفتأ الأسد يختبئ وراءه، فبالله عليك من هو راعي الإرهاب؟ ومن هو الذي ألحق الأذى والدمار بالعراق؟ ومن الذي خرب مؤسساته؟ بل من هو الذي أشاع الفوضى والسلب والنهب بين وزارته وممتلكاته؟ ومن هو الذي حل جيشه وبعض وزاراته؟ ومن الذي رمّل نساءه ويّتم أبناءه؟ ومن الذي في ظل وجوده قُتل من أبناء العراق مئات الآلاف؟ ومن الذي بسبب تداعيات وجوده صار في سجونه عشرات الآلاف من العراقيين الأبرياء؟ ومن الذي بسبب وجوده شهد العراق أفضع هجرة جماعية في تاريخ الشعوب؟ ومن

الذي في ظله سُرق نفط العراق وأمواله؟ ومن الذي بسبب تغطيته نهبت آثاره وشوّه تاريخه؟ أهو بسبب المقاومة، أم بسبب المحتلين الغزاة؟. إن الإنصاف يقتضي منك يا سيد (غازي الأسدي) أن تكون واقعياً، وأن لا تتجاهل الحقائق، وأن لا تحجب الشمس بغربال حتى يرضى عنك المحتلون.

ثم إن السيد غازي الأسدي يعتبُ عليّ لأنني أصف جنود أمريكا المتواجدين على أرض العراق (محتلين)، وهو يبزر عتبه بأن هذه القوات التي أصفها بالمحتلة قامت خلال السنين الست الماضية ((ببناء البنية التحتية العراقية من خلال آلاف المشاريع التي كلفت مليارات من الدولارات)). ثم يقول: ((إن هذا ليس بعمل يقوم به المحتل إنما عمل يقوم به الصديق للشعب العراقي)). ويقول بعد سطرين: ((ولكن الحقيقة أن قواتنا تساعد تلك الحكومة التي انتخبها الشعب العراقي)).

ومع هذه الخرافات التي يتحدث بها السيد الأسدي، فليس لي معه أي تعليق أو رد؛ لأن من يقرأ كلامه يعرف بطلانه، وهو لا يحتاج إلى مزيد من التعب والمعاناة لإثبات زيفه.

ولعلي أستغل هذه المناسبة من أجل التأكيد على المسلّمات التي أوّمن بها، وأتشرف في الدفاع والذود عنها، حتى تنزاح غمة الاحتلال البغيض الذي جثم على صدورنا، وأذاق أبناء شعبنا الصابر المحتسب ألوان الأسى والظلم والعذاب.

■ إن المقاومة التي تستهدف الاحتلال، وتسعى إلى إخراجه من أرض الرافدين حق مشروع، كفلته الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية والأعراف الدولية.

- إنني أدعو إلى المحافظة على وحدة العراق أرضاً وشعباً، ولا يجوز العمل على تفرقة أبناء هذا الشعب الذي تعيش أهله على مدى الزمان، تحت أي مسمى من المسميات الباطلة.
 - إنني أدعو إلى المحافظة على أموال الشعب وحقوقه، وثروات العراق، التي حباه الله تعالى بها، وأرى أنّ من الخيانة لهذا الشعب إهدار ثرواته، وتضييع خيراته.
 - إن العراق لا يحكمه إلا أبنائه الأصلاء، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتسلط على رقاب أبنائه الجالدون الغرباء الذين يريدون حكمه بالحديد والنار.
 - إنّ التوافق أساس الحل الحقيقي لما يعاني منه العراق اليوم من الخلاف والشقاق، وإن دعوات المصالحة لا بد أن يتوفر لها الجو الملائم لتحقيقه، وذلك بالاعتراف بالمسلّمات التي شهدتها العراق، من احتلال وخراب ودمار، خلفه الغزو اللاتشري للعراق.
 - إنّ الدم العراقي محترم ومصون، ولا يجوز الاعتداء عليه بأي حال من الأحوال، وإن الاعتداء عليه تحت أي مبرر، يعد مرفوضاً رفضاً قاطعاً، كائناً من يقف وراءه من الأشخاص والجهات.
- وإنني إذ أذلف على خاتمة هذه السطور؛ فإنني أدعو السيد (الأسدي) إلى مزيد من التدقيق والتحقيق، والتأني والتأني، خاصة في معرض رده على الآخرين، وأوصيه بأن لا يكون أداة تحركها إرادة الآخرين متى شاعت، وأنّى شاعت!!، وليتمتع بقول الشاعر الذي يقول:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى ويبقي الدهرُ ما كُتِبَ يداهُ
فلا تكبِّ بكلمك غير شيءٍ يسرك في القيامةُ أنه تراه

راجياً الباري (جلّ جلاله) أن يوفقني لخدمة شريعته ورفع راية دينه،
مبتهاً إليه سبحانه وتعالى أن يستخدمني في طاعته، وتحقيق مرضاته، إنه
وليّ التوفيق والسداد.

الزيدي الذي قذف بوش بالحذاء يعلن: "لقد تعرضت للتعذيب"

ديفيد اوزبورن
باتريك كوكبرن

تذبح الخراف ويتجمع الأهل والأصحاب فيما يشبه حفل عرس يقام على شرف الصحفي العراقي منتظر الزيدي الذي رشق بوش بحذائه خلال زيارته الأخيرة إلى بغداد وقبل أيام قليلة على توديعه منصب الرئيس في شهر كانون الأول – ديسمبر الماضي.

خرج الزيدي من السجن يوم أمس معرباً عن أنّ الغضب لا يزال بداخله تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن غضبه الأشد كان منصّباً على الحكومة العراقية، التي وحسب ادعائه قامت بتعذيبه بأقسى أنواع وطرق التعذيب، كالضرب، والصعق بالصدمات الكهربائية، عندما كان محتجزاً في أحد مراكز الاعتقال التابعة للحكومة العراقية.

منتظر الزيدي، الذي حكم عليه أصلاً بثلاث سنوات بسبب ما قام به تجاه الرئيس الأمريكي قال في مؤتمر صحفي حاشد في مقر المحطة التلفزيونية التي كان يعمل لصالحها بأنه يعتزم كشف المتورطين في سوء معاملته والذي

كان من بينهم حسب ما ذكر مسؤولين رفيعي المستوى في دوائر الأمن العراقية.

بدأت عائلة الصحفي العراقي بالاستعداد لاستقباله والاحتفال به عندما علموا باطلاق سراحه مبكراً، على أساس حسن السير والسلوك.

((عدي)) وهو شقيق الصحفي العراقي منتظر قال لنا: الحمد لله إن منتظر قد عاش ليرى نور الشمس مرة أخرى، أتمنى أن يتمكن بوش من رؤية سعادتنا وفرحتنا في الوقت الحاضر، وعندما سيتطلع بوش إلى الوراء ويقلب صفحات حياته فإنه سوف يرى حذاء الزيدي في كل صفحة منها.

وأضاف: إنه يخشى على حياة أخيه في العراق، وفعلاً تم وعلى الفور نقل الزيدي بطائرة خاصة إلى اليونان، ولكن الزيدي لم يرغب أن يمر اطلاق سراحه بدون أن يفجر عدداً من المفاجآت ومن العيار الثقيل حيث سلط الأضواء بشكل سريع على ظروف اعتقاله والفترة التي قضاها خلف قضبان المعتقلات العراقية، والذي ترتبط أيضاً بالظروف التي يعيشها العراق ككل، من فلتان أمني، وسيطرة الفساد على جميع مرافق الدولة، لا سيما المرفق الأمني، "أنا حر ولكن بلدي مازال محتلاً".

مظاهر الاحتفالات باطلاق سراح الزيدي تزامنت مع الزيارة المفاجئة التي قام بها وفد أمريكي رفيع المستوى إلى بغداد برئاسة نائب رئيس الولايات المتحدة (جو بايدن) والذي أجرى محادثات مع السيد المالكي؛ حيث قام الوفد الأمريكي بتغيير الطائرة التي كان يستقلها في قاعدة (ملدنهول) الملكية الجوية في بريطانيا في طريقهم إلى بغداد، ووفقاً للزيدي فإن رئيس الوزراء المالكي كان يراوغ ويخادع بإخباره الشعب العراقي بعد اعتقال الزيدي، بأن الزيدي بصحة جيدة، وأنه سيكون تحت رعايته، حيث قال الزيدي: "في الوقت الذي قال رئيس الوزراء نوري المالكي للتلفزيون بأنه لن

ينام حتى يطمئن على حالتي... بينما كنت أنا اتعرض للتعذيب وبأسوأ الطرق وذلك بضربي بالأسلاك الكهربائية وقضبان الحديد"، وأضاف: "أنا لست بطلاً وأنا أعترف بذلك، أنا مجرد شخص كان يرى أن بلده يحترق".

الزيدي الذي يعتبر الآن بطلاً بنظر جميع شعوب الشرق الأوسط فضلاً عن مختلف أنحاء العالم، بعد أن أدهش المراسلين القادمين من الولايات المتحدة والمراسلين المحليين العراقيين عندما عبر عن فورة غضبه أثناء المؤتمر الصحفي المشترك بين الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش ورئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، واصفاً بوش بـ "الكلب" والتي تعتبر إهانة شديدة في العالم العربي، وطاش حذاء الصحفي الزيدي ليخطئ وجه الرئيس الأمريكي ببوصات قليلة، مما دعا رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي إلى رفع يده ليحمي وجه الرئيس الأمريكي السابق من الحذاء الثاني.

"هذه هي هديتك من العراقيين... هذه هي قبلة وداعك يا كلب!"، كانت

هذه العبارة هي العنوان الأبرز في نشرات الأخبار في مختلف أنحاء العالم.

يوم أمس كان في استقبال السيد الزيدي لدى مغادرته السجن عدد من أعضاء البرلمان العراقي الذين كانوا يساندوه، كما وصل إلى مقر (البغدادية) المحطة التلفزيونية التي كان الزيدي يعمل لصالحها، حيث قام على الأقل موظفين إثنين بذبح الخراف تكريماً له، أما في شوارع العاصمة فإن أنصاره أخذوا يقرعون الطبول ويهتفون باسمه، معلنين عن ولادة بطل قومي جديد في العراق.

لم يبد الزيدي وهو مسلم شيعي^(١) أيّ ندمٍ على ما فعل، وبدلاً من ذلك أخذ الزيدي بالتعبير عن مدى غضبه تجاه جورج بوش بوصفه صاحب قرار اجتياح العراق في عام ٢٠٠٣م.

كان الزيدي يعد التقارير الصحفية عن تلك الحرب لصالح المحطة التلفزيونية التي كان يعمل لصالحها (البغدادية) وشهد أول آثار العنف التي تسبب بها تلك الحرب، وتابع الزيدي قائلاً: "الاحتلال قد غزانا تحت ذريعة التحرير، ولكنه بدلاً من ذلك قسم الأشقاء والجيران إلى طوائف متناحرة، بل جعل من بيوتنا خياماً للجناز، ومن شوارعنا مقابرًا".

متذكراً تلك اللحظة التي رمى بها الحذاء، استمر الزيدي بالقول: "رأيت فرصة أمامي لا يمكن تفويتها، لو عرف الذين وجهوا اللوم لي على ما فعلت عدد المنازل المهدمة التي دخلتها بذلك الحذاء، وعدد المرات التي أختلطت بها هذا الحذاء بدماء العراقيين الأبرياء، كم من بيت دخله ذلك الحذاء وأصحابه قد فقدوا كرامتهم وكل ما ملكوا بسبب بوش لعرفوا بأن ذلك كان رد الفعل المناسب تجاه المجرم بوش".

كما أن الزيدي كان صريحاً وواضحاً في تهديده بأنه سيفضح المسؤولين عن تعذيبه في السجن، وأضاف: "سوف أعلن في وقت لاحق أسماء المتورطين في تعذيبي، ومن بينهم مسؤولين رفيعي المستوى في الحكومة والجيش".

(١) هكذا وصفه الكاتب، مع أن منتظر الزيدي أصرَّ على تجريد نفسه من أي وصف يمكن أن يكشف عن طائفته، حتى وهو يتعرض لأقصى أنواع التعذيب في فترة اعتقاله، وأكد مراراً على أنه يعتز بهويته الوطنية العراقية، وقد ترجمنا العبارة بنصها حرصاً على الأمانة العلمية.

الرجل الذي قذف بوش بالحذاء منتظر الزيدي أطلق سراحه بعد سجنه وتعذيبه

ريتشارد كير باغ

ها هو منتظر الزيدي يعانق شقيقته بعد اطلاق سراحه من السجن. في الليلة الماضية غادر الزيدي العراق لإجراء فحوص طبية، الزيدي هو الصحفي العراقي الذي سجن لقذفه حذاءً على الرئيس الامريكى السابق جورج بوش، قال أمس في مؤتمر صحفي عقده في مقر الفضائية (البغدادية) التي يعمل لصالحها: "بأنه قد تم تغطيسه في الماء (بما يعرف بتكنيك الايهام بالغرق) فضلاً عن الصعق بالكهرباء، والضرب المستمر ليلاً ونهاراً. منتظر الزيدي الذي فقد بعضاً من أسنانه الأمامية، وكسر أنفه وبعض أضلاعه خلال فترة تسعة أشهر قضاها في أحد السجون العراقية، قال: بأنه سيكشف أسماء عدد من كبار المسؤولين في الحكومة العراقية متهماً إياهم بتعذيبه بصورة مباشرة.

المراسل الذي رفض الاعتذار عن رميه حذاه على الرئيس الأمريكي السابق طالب رئيس الوزراء العراقي بالاعتذار منه متهماً إياه بتضليل الرأي العام بشأن المعاملة التي لقيها وراء القضبان، حيث قال في مؤتمر صحافي عقده في مكان عمله السابق (قناة البغدادية الفضائية): "لقد تعرضت للتعذيب بأبشع الطرق، الصعق بالصدمات الكهربائية والضرب بقضبان حديدية".

وقال: "بأن المالكي قد أكد علناً بأنني سأنال الرعاية الكاملة في سجنني بينما في الحقيقة وفي نفس توقيت إعلان المالكي كنت مكبل اليدين ومرمياً في العراء البارد بعد أن تم إغراقي بالماء كنوع من أنواع التعذيب".

"أنا أطالبه بالاعتذار عن اخفائه الحقيقة عن الناس مع علمه بما يجري لي"، وأضاف الزيدي: "سأعلن لاحقاً أسماء الذين شاركوا بتعذيبي بما فيهم بعض كبار المسؤولين في الحكومة والجيش".

على الرغم من التحدي والظهور الذكي الذي بدا عليه الزيدي إلا أنه قد بدا ضعيفاً وواهناً جسدياً، وأحياناً كان بحاجة إلى المساعدة، بينما احتفل أصدقاء وعائلته باطلاق سراحه، أما شقيقه الذي كان يشد على يد أخيه التي كانت ترتجف كما لو كان واقفاً تحت الثلوج.

سئل الزيدي من قبل مراسل صحيفة التايمز: "كيف تشعر الآن؟"، نجح الزيدي بوضع ابتسامة باهتة على شفثيه قائلاً: "ليس جيداً جداً"، وأضاف: "لكني مع هذا على ما يرام".

علي خضير أحد أفراد أسرة الزيدي أشار إلى علامات التعذيب التي كانت تغطي رأس منتظر الزيدي قائلاً: "هذا آثار الحرق بالسجائر التي كان حراس السجن يطفئونها برأسه ووجهه، وهناك الكثير غير هذه العلامات وآثار التعذيب المنتشرة في كل أنحاء جسده ولكنها تختبئ تحت الملابس"، وبعد المؤتمر الصحفي غادر منتظر الزيدي على متن طائرة خاصة لسوريا

وهو في طريقه إلى اليونان؛ لأجراء فحوصات طبية وفقاً لما أعلنه شقيقه عدي.

ابن عمه حيدر الزيدي قال: "منتظر سيذهب إلى اليونان لتلقي العلاج الطبي لأنه كان قد حقن بمادة مخدرة كيماوية غير معروفة للأطباء، وأنه يعاني من صداع مستمر".

قصة هذا الصحفي هيمنت على أخبار العراق والشرق الأوسط في الأيام الماضية، حيث كان فعله "البطولي" على رأس نشرات الأخبار، كل الأحاديث في الشارع العراقي كانت تدور حول ما قام به الزيدي وحول اطلاق سراحه. أصبح الزيدي من مشاهير العالم بعد أن قذف الرئيس الأمريكي السابق بحذائه خلال مؤتمر صحفي عقده في كانون الأول – ديسمبر الماضي خلال زيارته الأخيرة إلى بغداد، ودعاه بالكلب (وهما يعتبران من أسوأ الالهات في مجتمعات الشرق الأوسط)، ربما تجنب بوش الأحذية التي طارت نحوه، ولكن الهجوم كان مصدر احراج كبير للمالكي الذي كان يقف إلى جواره.

هناك الآن عروض كثيرة قدمت للزيدي ليعمل في مختلف المحطات الفضائية العربية، فضلاً عن تلقيه عروضاً كثيرة للزواج من مختلف أنحاء المنطقة.

وقال الزيدي: إن هذه الضجة الإعلامية التي أحاطت به كانت أقل أهمية بالنسبة إليه مما حدث للعراق، "أنا الآن حر ولكن بلدي لا يزال أسيراً" وأضاف قائلًا: "أنا لست بطلاً... بل أشعر بالإهانة لرؤية بلدي يعاني".

"أتمنى أن يعرف الناس الذين قاموا بلومي على ما فعلت، عدد المنازل التي قد دمرها الاحتلال والتي قد دخلتها بهذا الحذاء، وعدد المرات التي خالط هذا الحذاء دماء الابرياء من أبناء بلدي، وعدد المنازل التي دخلتها والتي كانت قد انتهكت من قبل قوات الاحتلال".

وأدين الزيدي في آذار - مارس وحكم عليه بالسجن لثلاث سنوات، ولكن تم تقليصها لسنة واحدة في الاستئناف؛ لكونه لا يملك سجلاً إجرامياً من قبل، إلا أن المدة خفضت مرة أخرى لحسن السلوك لتسعة أشهر. وكانت السلطات العراقية قد نفت تعرض الزيدي للتعذيب في السجن ولكن بعد المؤتمر الصحفي الذي عقده الزيدي، قال سامي العسكري أحد مستشاري المالكي: إن مثل هذه الادعاءات ينبغي التحقيق فيها.

العراقي منتظر الزيدي الذي رشق بوش بحدثه تعرض للتعذيب بواسطة "الإيهام بالغرق"

فيليب نوتون

أخيراً أفرج عن المراسل الصحفي العراقي الذي حكم عليه بالسجن لرميه حذاءه على الرئيس الأميركي السابق جورج بوش، صرّح بأنه قد تعرض للتعذيب بواسطة الصدمات كهربائية وحتى تكنيك الإيهام بالغرق أثناء احتجازه.

منتظر الزيدي كان وراء القبض منذ أن صرخ قائلاً "هذه هي قبلة الوداع يا كلب" وقذف بحدائه بوش خلال زيارته الأخيرة في بغداد أثناء مؤتمر صحفي في كانون الأول - ديسمبر الماضي، والتي تعتبر من الاهانات الشديدة في العالم العربي.

على الرغم من أن بوش تجنب الأحذية التي طارت نحوه وكان رده تجاهها بضحكة سخيفة تتم عن مدى الاحراج الذي أصابه، ولكن الاحراج الأشد كان من نصيب المالكي، الذي حاول إبعاد الحذاء الطائر الثاني عن وجه بوش.

مطلقاً لحية خفيفة ومرتدياً وشاحاً يحمل ألوان العلم العراقي متدلياً على كتفيه، قال الزيدي: بأنه لا يشعر بأي ندم إزاء ما قام به قبل تسعة أشهر تجاه بوش.

وقال في مؤتمر صحفي عقده في مكتب القناة التي يعمل لصالحها (البغدادية ومقرها في القاهرة - مصر) بأنه ليس بطلاً ولكن ببساطة قد اغتتم الفرصة لإهانة الرجل الذي أهان العراق خلال ست سنوات من الاحتلال. وقال الزيدي: "بالنسبة لي كان رد فعلي عفويًا ومناسبًا، ما أردت القيام به برمي حذائي في وجه المجرم بوش كان التعبير عن رفضي لأكاذيب احتلال بلدي".

وأضاف: "وفي الوقت الذي قال فيه نوري المالكي في تصريحات نقلها التلفزيون بأنه لا يستطيع النوم دون أن يشعر بالاطمئنان على صحتي... كنت أتعرض لأسوأ أنواع التعذيب وبأبشع الطرق، مثل الضرب بالأسلاك الكهربائية والقضبان الحديدية".

المراسل العراقي البالغ من العمر ٣٠ عاماً قال: بأنه يطالب المالكي بالاعتذار منه، مشيراً إلى أن الحراس قد استخدموا في تعذيبه أيضاً تكتيك الإيهام بالغرق (وهو أسلوب استخدمه الأميركيون على المشتبه بهم الذين اعتقلوا بعد أحداث الحادي عشر من ايلول - سبتمبر ٢٠٠١م).

وأضاف الزيدي: "أنا الآن حر ولكن بلدي لا يزال أسيراً، أشعر بالإهانة لرؤية بلدي يعاني، وبغداد تحترق، وشعبي يقتل".

زغردت عائلة الصحفي الزيدي عندما سمعت أنباء إطلاق سراحه عن طريق الهاتف في منزلهم ببغداد، قام أقرباؤه وأصدقائه بذبح الأغنام في احتفال كبير أقيم له، ولكن لم الشمل تأخر؛ لأن السيد الزيدي كان من المقرر أن يخضع لفحوص طبية في مكتب قناة البغدادية أولاً.

وقال أقارب المراسل: بأنه كان مرهقاً وكان من المقرر أن يسافر إلى اليونان للعلاج بعد معاناة جسدية ونفسية تعرض لها في السجن. قد يواجه الزيدي نمطاً جديداً لحياته مختلف جداً عن السابق، على الرغم من أنه لم يتم التخطيط لاستئناف مهام وظيفته القديمة، وقد وعده رئيسه في العمل بمنزل جديد كمكافأة على ولاءه والدعاية التي تسبب بها عمله للقناة التي ذاع صيتها بسبب ما قام به الزيدي وتم بثه على الهواء. وهناك أيضاً حديث عن مناصب مرموقة عرضت على الزيدي من أكبر الشبكات الإخبارية العربية، فضلاً عن الهدايا الفاخرة مثل السيارات الرياضية المقدمة من رجال الأعمال، وضمان النجومية، والتقارير التي تفيد بأن النساء في المنطقة العربية من بغداد إلى قطاع غزة تريد الزواج منه.

نشاطات مركز الأمة للدراسات والتطوير حتى تأريخ ٢٠٠٩/٨/٨م

نشاطات قسم الدراسات

الندوات

ندوة خاصة عن (الانسحاب الأمريكي من المدن العراقية بين الإعلان والواقع) بتاريخ ٢٠٠٩-٦-٣٠م وتضمنت محورين رئيسيين:
أولاً: المحور السياسي قدمه الدكتور خالد المعيني مدير مركز دراسات الاستقلال، وتناول فيه:

- دلالات هذا الانسحاب وأبعاده السياسية والإعلامية.
- أهداف الحكومة من التسويق والدعاية لهذا الانسحاب.
- رؤية القوى المناهضة للاحتلال لإعلان الانسحاب.
- أوجه الاحتلال الأخرى غير العسكرية.

ثانياً: المحور العسكري وقدمه الدكتور مهند العزاوي مدير مركز صقر للدراسات الإستراتيجية والعسكرية، وتناول فيه:

- دلالات الانسحاب من وجهة نظر عسكرية وأمنية.
- القواعد العسكرية المقرر الانسحاب إليها وكل ما يتعلق بها.

- الشركات الأمنية ودورها ما بعد انسحاب قوات الاحتلال من المدن.

المحاضرات

- محاضرة للدكتور عزمي بشارة بعنوان (القضية العراقية من وجهة نظر عربية) بتاريخ ٨-٧-٢٠٠٩م.
- محاضرة للدكتور حاكم المطيري بعنوان (تحرير الإنسان على طريق تحرير الأوطان) بتاريخ ٢٣-٧-٢٠٠٩م.

نشاطات قسم التطوير

- ورشة عمل عن تطوير المهارات الشخصية قدمها رئيس قسم التطوير بتاريخ ٢٩-٦-٢٠٠٩م.